النزعة العقلية السلبية وخطرها على السنة الشريفة النبوية

د . مريم محمد علي المغربي
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بقسم الدراسات الإسلامية جامعة الدمام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات، وبفضله يجازي أهل العمل الصالح الحسنات، وبهدي أنوار القرآن الكريم يشفي قلوب المؤمنين والمؤمنات، وبهدى سنة المصطفى ﷺ تتحقق الخيرات .

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، باريء الأرض والسماوات، وفاطر جميع الكائنات، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، رحمته لجميع المخلوقات، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١).

اللهم صلّ، وسلم، وبارك عليه، وعلى آل بيته النجوم الزاهرات، وأصحابه أهل العلم والمكرمات، والعلماء العاملين، مادامت الأرض والسماوات .

ما بعد،،

فإن العقل نعمة إلهية، ومنحة ربانية، ميز الله تعالى بها المخلوقات البشرية، وكلفهم القيام على واجباته بما يحقق المصالح لجميع أفراد الإنسانية، وبعث المرسلين ليكونوا هداة على جميع النواحي الإجمالية، والتفصيلية، وبين لهم طرائق المحافظة على العقل باعتباره واحداً من مقصودات الشارع من البشرية، ومتى استقام على هدى الله تحققت الخيرات، وتمت معها الضروريات، والتحسينات، والمكملات، في صورها الإنسانية .

بيد أن البعض أخذ من الدين الإلهي وضع المنابذة، والمكابرة، واستعذب الاستجابة للشيطان، وأساليبه المدمرة، دون ان ينظر لعواقب ماضية، أو قائمة، أو متأخرة، ومن ثم سمحوا لعقولهم المضي قدماً في طريق الانفلات عن الكتاب والسنة، بدل الاعتصام، وسلكوا مسالك الهوى بانتظام، واستعملوا كافة الجوانب السلبية للطعن

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٧.

في السنة النبوية، مستخدمين كل حيل المشتشرقين، وجميع شبهات المستغربين، وقد أضافوا إليها مما تدفعهم إليه الشياطين .

في ذات الوقت، فبدل أن يستخدموا نعمة العقل السليم فيما شرع الله جل علاه، من الإهتداء إليه، بالتأمل في ملكوته، والقيام على صلاح العقيدة، وسلامة العبادة، واستقامة الأخلاق، تراهم قد خرجوا عن كل هذا مبتعدين تماماً عن كل ما جاء من عند الله تعالى، فلا هم بالقرآن الكريم تمسكوا، ولا هدى السنة الشريفة التزموا، ولا قيمة الفطرة الإنسانية عملوا .

أجل ــ إن تاريخ الخروج على ما جاء من عند الله تعالى، والكفر به قديم، أعلن عنه إبليس حينما رفض الالتزام بأوامر الله تعالى، حين كلفه السجود لآدم فأستكبر، وكان من الكافرين، وقدم شبه كاذبة، وحجة واهية لاتنهض بين المتأملين، وقال ما حكاه القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١) .

ثم نبتت في كل عصر نابتة يستمرءون معصية الله على طاعته، ويختارون طريق الضلال بدل إلتماس الهدى، حتى بعث الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ، فآمن بالله معه من آمن، وكفر من كفر، ثم تطورت وسائل الشيطان في الإضلال، فرأينا من يستخدم قدراته العقلية على ناحية سلبية، يكفرون بالله، ويلحدون في آياته، ويفرقون بين ما أنزل الله في كتابه، وما جاء بسنة الحبيب المصطفى ﷺ .

ولأن الشيطان ينزغ على الإنسان، فإن ميل ذلك الفرد إلى الضلال إنما هو نزع يلوذ به، ويأخذه إليه، وكلما اتجهت النزعات العقلية إلى الجوانب التي لا تقدم نفعاً في الدنيا والآخرة، فإنها تكون سلبية، نظرًا لما يترتب عليها، ويرتبط بها، إذ الإنسان إما مؤمن، أو كافر مطيع، أو عاص في دارالدنيا، أما في الآخرة فإما في الجنة حيث

(١) سورة ص: الآيات ٧٦-٧٨.

النعيم المقيم، ورضوان من الله أكبر، أو العذاب الأليم .

من ثم رأيت أن يكون هذا البحث تحت عنوان " النزعة العقلية السلبية وخطرها على السنة النبوية " حتى أعرض الجوانب التي أرى الحاجة داعية إليها، ثم أكشف النقاب عن خفايا هؤلاء، والآثار التي يمكن أن تجيء من جانبهم، وبخاصة إذا اطلع الأغرار على أفكارهم، وهم يحملون أسماء إسلامية، ويعيشون في بلاد الإسلام، وغايتي الدفاع عن دين الله رب العالمين من خلال التمسك بالقرآن الكريم، وسنة النبي الخاتم الأمين، سيدنا محمد بن عبد الله خير الخلق أجمعين .

أما منهجي فيه فهو التكاملي القائم على العرض، والنقد، ثم الموازنة، وبيان الخطر الذي يمكن أن ينال المسلم من جراء هذه الانفلاتات السلبية التي يزعم أصحابها قيامها على الجوانب العقلية، وما هي إلا نزغات شيطانية، سيقت في أساليب لغوية

والله تعالى أسأل أن يهديني للخير الذي يرضيه، ويعينني على إتمام ما أنا فيه، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، إنه نعم المولى ونعم النصير .

د. مريم محمد علي المغربي

الفصل الأول: التعريف بالنزعة العقلية السلبية

تمهيد

النزعة العقلية السلبية عمل يدفع صاحبه إلى إنكار ما هو قائم من عند الله تعالى، بحيث لا يقابله إلا تكذيبه له، وإنكاره، لا تصديقاً به وتسليماً، وكل اتجاه عقلي يأتي على ما يخالف ما شرع الله تعالى، فإنه يكون مذموماً، ويدلج صاحبه في إطار الفتن التي حذر الرسول ﷺ منها.

فعن أبي نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع[1]، فأوصنا: قال ﷺ أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعه ضلالة[2].

ثم إن النزعة العقلية السلبية فيها اندفاع المرء إلى ممارسة ما يخالف أوامر الله تعالى، ونواهيه، بما يمثله من انتهاك للحرمات الشرعية، واعتداء على الأصول القائمة التي أمر الله سبحانه وتعالى إجتنابها، بل إنها في جميع أحوالها تلقى بصاحبها في الظلم لنفسه، وغيره، كما تأخذه من ناصيته إلى المعصية، والله تعالى أخبر عن فرعون أنه استخف قومه فأطاعوه، لأنهم كانوا قوماً فاسقين، قال تعالى ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ

(١) وهذا مما يدل على أن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والسلف الصالح كانوا أيقاظاً، والناس نيام بدليل أن الصحابة فهموا عن الله ورسوله ما في تلك الموعظة، وما حملته من نصح - راجع للشيخ/ محسن ابن على الورداني: العقيدة الإسلامية، ص٧٧، ٧٨، مطبعة الفجر، سنة ١٣٤٥ هـ.

(٢) الإمام/ النووي: الأربعون النووية، الحديث الثامن والعشرون، ص١٩٥، مطبعة محمد على صبيح، ورواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [1].

كما يذكر القرآن الكريم أن تلك النزعة السلبية قادت فرعون إلى إعلان أنه الإله الأوحد، الذي يجب على الجميع طاعته، ولا يصح من أحد مخالفته، أو مناقشته، أو الجدل معه، أو الخروج عليه، فقال تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [2].

في ذات الوقت، فإن النزعة العقلية السلبية قادت منكري النبوات إلى التكذيب والإنكار، ودفعت خصوم الأنبياء إلى الاستكبار على من بعثه الواحد القهار، ومن آمن بهم من الأخيار، وقد قص القرآن الكريم طرفاً من ذلك مع نبي الله شعيب عليه السلام، إذ قال له قومه.

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [3].

وحينما تقفز مع الزمان قفزات متسارعة، حتى نجيء إلى خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، نجد أن الخصوم قد تجمعوا عليه، وكادوا له ولم يتخلفوا عن مطاردته، ورميه بما لا يرتضونه لأنفسهم، على الرغم من أنهم قبل

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥١ - ٥٦.

(٢) سورة القصص: الآيات ٣٨ - ٤٢.

(٣) سورة هود: الآيات ٩١ - ٩٣.

البعثة أعلنوا أنه الصادق الأمين، لكنهم بمجرد إعلان أنه النبي الخاتم للناس أجمعين، إنقلبوا مكذبين إلا من رحم ربي أرحم الراحمين.

وأبرز تعريفات النزعة العقلية السلبية ما يلي:

١ ــ هي التي يقوم بها الفرد الواعي، عن طريق العقل وحده بدور سلبي، لا يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية ، حيث لا يوجد هدف مشروع يسعى إليه، ولا عقيدة سليمة تعتمد عليها، كما لا يمارس صاحبها الموصوف بها العبادة الصحيحة، والأخلاق المستقيمة الكريمة، غايته بز الأقران، وينال من أمثاله الاستحسان، حتى أنه ينكر السنة الشريفة، ويجادل في نصوص القرآن الكريم، ويفرق بين الإسلام والإيمان، كما يرفض الإحسان، بحيث يخرج على جماعة الإسلام بأفكار مغلوطة، ظاهرها العلم والرحمة، وباطنها الجهل والعذاب والسعير وشدة النيران [١]، وهو تعريف يحمل جملة من القواعد العامة، والمباديء الأساسية المعبرة عن تلك النزعة السلبية .

٢ ــ النزعة العقلية السلبية اتجاه يدفع إلى التكذيب بالنصوص الشرعية، وإنكار القيمة العملية للأصول الدينية، وادعاء وجود تناقض بين القرآن الكريم والسنة النبوية، بحيث يؤدي إلى إبعاد الناس عن الإيمان بهما، كما يدفع إلى الخروج عليهما، وطلب غيرهما [٢].

ويستدلون على هذا الاتجاه الغريب بما ذكره عنهم ابن قتيبة ﷺ من قولهم رويتم أنه قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ من ترك قتل الحية مخافة النار فقد كفر[٣]،

(١) راجع للشيخ/ عبد العظيم بن على القرشي: العقيدة الإسلامية، ص٣٧، مكتبة الكردي، وراجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: أثر الإيمان في حياة الإنسان، جـ ١، ص٨٧، ط. أولى، سنة ١٩٩٥ م..

(٢) راجع للأستاذ/ حسين صالح شلبي: التيارات الفكرية المعاصرة، ص١٢٥ ، ١٢٦، مكتبة القدس، سنة ١٩٩٧ م..

(٣) هذا من الأفكار الشعبية التي تربى عليها الكثيرون من الناس، وتقوم في أن من قتل حية من الحيات، فإنما قتل واحدا من الجن، حينئذ يأتي الجن يطلبون ثأر ذات الحية، وربما بالغوا في طلب الدين - راجع للشيخ/ عبد البديع حسن صابر: أحكام الجان، ص٩٧، مطبعة الشباب، سنة ١٩٤٥ م..

والله تعالى يقول ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[١]، ثم يقولون: وقتل الحيات إن كان ذئباً فهو من الصغائر، فكيف نكفر به، وأنت تروون من زنى، ومن سرق، إذا قال لا إله إلا الله فهو مؤمن، وهو في الجنة، ثم تكفرون بترك قتل الحيات، وفي هذا تناقض [٢] .

والذي دفعهم إلى ذلك هوالنزعة العقلية السلبية تجاه النصوص الإسلامية، نظراً لعدم تمكنهم من العلم بها، أو الإحاطة بأحكامها، ولو أنهم عرفوا هذا، وكانوا على قدر من العلم النافع، لأدركوا الفرق بين الدلالتين، وتمكنوا من معرفة التوجهين، وما زعموا وجود تناقض بين النصوص الشرعية أصلاً [٣] .

قال ابن قتيبة في الرد عليهم: لم يكن القصد ترك قتل الحيات، ولا أن ذلك الترك من عظيم الذنوب، بحيث يخرج الرجل إلى الكفر، وإنما العظيم ان يترك قتلها خشية للثأر، وهو أمر من أمور الجاهلية ، حيث كانوا يقولون إن الجن يأتي فيطلب ثأر الجان إذا قتل، فربما قتلت الجن قاتل الحيات، أو أصابته بخبل، أو قتلت ولده[٤]، فأعلمهم الرسول ﷺ أن هذا التصور باطل، وقال من صدق بهذا فقد كفر بما أتينا به من بطلانه[٥]، ومن ثم فلا تناقض.

لكن أصحاب النزعة العقلية السلبية يبحثون عن عورات، ويجدون في طلب

(١) سورة النساء: الآية ٣١.

(١) ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث، ص٨١، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) الواضح أن شبهاتهم قامت على قصورهم المعرفي، وجهلهم بالأحكام الشرعية، والأصول العامة، وذلك مما يقع لهم القدح به، وعليهم أن يتحملوا نتائج ما فيه وقعوا، وذلك من المباديء العامة التي تقررها الأحكام الفطرية - راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: تدبرات القرآن ومقاصد الشريعة الإسلامية، ص١٣١.

(٣) هذا مما كان يجري في الثقافة الشعبية، ويتردد على السنة العوام، وبعض الذين ينسبون أنفسهم إلى العلم، ولو أنهم نظروا إلى ما يجب إتباعه، وما جاء من عند الله تعالى لتغيرت مواقفهم والنتائج التي تر تب عليها.

(٥) الإمام/ ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث، ص٨١، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

المثالب، بغية النيل من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وهو ما يفضي إلى القول بأنهم ليسوا على هدى سواء، كما أن نواياهم قد فضحتها فعالهم التي يزعمون إنتسابها للبحث العلمي، وهي بعيدة عنه كل البعد .

٣ ــ النزعة العقلية السلبية اتجاه عقلي غير منضبط، يسعى للفصل بين مَصْدَرَيْ الإسلام ــ القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ــ وتقويض العلاقة الأساسية الجامعة بينهما، بغية النيل من الإسلام، والمسلمين، وتحقيق الغايات التي ينادي بها جموع المستشرقين [١]، ومن ثم يستخدم أصحابها كل وسيلة يظنونها ممكنة لصرف الناس عن دين الله رب العالمين، الذي ارتضاه الله جل علاه إلى يوم الدين .

من ذلك زعمهم أنه ليس هناك حديث واحد صحيح في أبواب الفقه [٢]، وهي نفس الفرية التي زعمها جولد زيهر في كتابه " دراسات إسلامية " حيث كان يشكك في صحة الأحاديث ونقلها ووصولها[٣] إلى الناس بطريقة مأمونة، وهو ذاته الذي يقوم به المستغربون، ويردده أصحاب النزعة العقلية السلبية، وتمتد آثاره بالنسبة ذاتها إلى السنة النبوية .

٤ ــ النزعة العقلية السلبية حركة مقصودة، يقوم بها من يتم تجنيده لخدمة أعداء الإسلام، حيث يقومون بأدوار غير مقبولة بالنسبة للسنة النبوية الشريفة من حيث إنهم يركزون على النيل من ذات السنة الشريفة، إنهم شياطين مردة، في أشكال آدمية، ومستشرقون فجرة تحت أسماء إسلامية [٤] .

---

(١) راجع للأستاذ/ على السيد صالح العشري: الحركات الهدامة في الوطن العربي، ص١٤٥، مطبعة الطاووس، سنة ١٩٧٨ م..

(٢) راجع للدكتور/ محمد بهاء الدين: الإستشراق والخلفية العدوانية، ص١٩٥، مطبعة النهضة، سنة ٢٠٠١م..

(٣) راجع للدكتور/ محمد الأمين: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ص٩٦/٩٧.

(٤) الأستاذ/ شلبي السيد شلبي: التيارات الفكرية المعاصرة دراسة تحليلية، ص١٣١، ط. مكتبة الهادي، سنة ١٩٩٧ م..

ومن ثم فهم لا يهدفون الوصول للحق، حتى وإن زعموه، وهم يهربون منه، ومن طريقهم أبعدوه، غايتهم القضاء على الإسلام دين الله رب العالمين، وهم في ذات الوقت يزعمون أنهم من المسلمين، ومن حماة الدفاع عن الدين، بينما هم جملة من الكاذبين .

إنهم يحاولون التخلص من الاسلام بأيدي من ينتسبون إليه، ويقضون على اتباعه بأيدي أبناء، أسماؤهم هي أسماء إسلامية، وسحناتهم لها ذات السحنة والتغطية الشكلية، وربما شاركوا المسلمين في أداء بعض الشعائر والمناسك، حتى يدخلوا إليهم، ويتمكنوا من التدليس عليهم، والإلباس لهم [١] .

من ذلك قولهم: العرب أمة أمية لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، فكيف يدعي أن السنة الشريفة، وقد بلغت الجمع الذي لا يحصى، ولم يتم تدوينها، لم تنلها يد التغير، ولم يقع لها شيء من الزيادة والنقصان، إن هذا امر يناقض صحيح العقل، ويخالف قوانين الفطرة [٢] .

أجل ــ لقد تناسى هؤلاء أن العرب قبل الإسلام كانوا أمة أمية، لا تشتغل بالعلوم التي سلكها الآخرون، كالمنطق والفلسفة، وإنما كان العلم الذي برعوا فيه هو البيان، وعلوم اللسان، شعراً ونثراً، حتى أنهم كانوا يعقدون المؤتمرات الأدبية السنوية، وأشتهر من ذلك أسواقهم عكاظ، وذو المجنة، حيث كان يتبارى فيها الشعراء والخطباء من كل القبائل، أيهم أحسن شعراً، وأبلغ خطابة [٣] .

---

(١) هذه العمليات العدوانية لا يتوقف أعداء الإسلام عن القيام بها، والتحول معها، أينما كانوا، غايتهم محددة، وأهدافهم واضحة، وهمزة الوصل بينهم، وعداوتهم للإسلام قائمة لا تنقطع، وسوف يفضح الله أمرهم، ويكشف سترهم، ويعاقبهم على جرائمهم.

(٢) الأستاذ/ شلبي السيد شلبي: التيارات الفكرية المعاصرة دراسة تحليلية، ص١٨٥.

(٣) راجع للعلامة/ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ ١، ص، ٤٠٤، ط. دار الأعلمي للمنشورات، بيروت.

صحيح أن العرب أمة أمية، لكن بمعنى أنه يقل فيها الكتاب والقراء، ولكن صار الحفظ، والاعتماد على الذاكرة هو الوسيلة الفعالة في حفظ تراثهم جميعه، وبخاصة الأدبي، وتاريخهم القومي، وصارت رؤوسهم بمثابة المكتبات المتنقلة، بدليل أنهم كانوا يحفظون أنسابهم، وأشعارهم، وحكمهم، ويتبارون فيها، أيهم أكثر حفظاً، وأجود ضبطاً، وأشتهر بينهم أن الصديق ﷺ كان نسابة لم يغب عنه شيء من أنساب العرب، مهما تباعدت بطونهم[1]، وصفحات التاريخ التي لم يتم جفاف مدادها مازالت شاهدة .

لقد كانت هذه الأمية بمثابة التمهيد والتخلية لكل عقولهم، حتى تكون مستعدة لتلقي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بجانب التشريعات العملية التي جاء بها الرسول الخاتم، سيدنا محمد ﷺ، والاشتغال بها، مع العناية بحفظها، وفهمها، وتقريرها على الوجه الذي يحقق الفائدة منها، ويحفظ لها وجودها، ومن ثم فلم يكن هناك من معتب على حفظهم الأحاديث النبوية، واستظهار الآيات القرآنية، ويقع التسابق في هذه وتلك على كافة النواحي المعرفية [2] .

وكيف نذهب بعيداً، ومن كُفت أبصارهم يحفظون كل ما يلقى إليهم، ويستظهرونه، ولا يقع لهم النسيان، وكم أنبأت الأيام غابرها، والحاضر بالمعري، وبشار، وغيرهم من الشعراء العميان الذين كانت رؤسهم حوافظ، تحملها أدمغة لم يقع لها شيء من النسيان مع تغيرات الزمن، وتقلبات الحدثان .

ويذكر الكثيرون أن العرب في الجاهلية كان الشاعر المشهر فيهم ينظم قصيدة، ثم يرددها في المحافل والأسواق العربية، فلا يلبث قليلاً حتى يحفظها عنه الكثيرون، بل ويرددونها حتى يحفظها عنهم المئات، وهكذا، حتى ينتشر أمرها بين قبائل الجزيرة وتصبح محفوظة في صدور الكثيرين من الرجال الذين لا يقع بينهم

(١) راجع للأستاذ/ حسن فخري صابر: أيام العرب، ص١١٢، ١١٣، ط. مركز قطب، سنة ١٩٨٧م..

(٢) الأستاذ/ شوقي محمد خالد: عوامل تدوين السنة، ص١٥، ١٦، ط. مكتب توفيق، سنة ١٩٦٥م..

اختلاف كبير في روايتها [1].

بل إن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانوا يتدارسون السنة الشريفة، ويتذاكرونها، وكل ما يسمعون من الرسول ﷺ في مساجدهم، ومجالسهم، وحلهم وترحالهم وبيوتهم، وظنعهم، وسفرهم، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، إذ كانوا يرون أن ذلك واجباً فرضته عليهم الشريعة الإلهية، من ذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [2]، .

وذكر ابن حجر أن الصحابة كانوا يحفظون أبناءهم الحديث الشريف كما يحفظونهم القرآن الكريم وكان سعد بن أبي وقاص ﷺ يعلم الحديث بنيه، كما يعلم المعلم الغلمان[3]، ومن ثم سقطت شبهة أصحاب النزعة العقلية السلبية، بل ارتدت سهامهم إليهم، وإنقلبت الصيحة عليهم .

٥ ــ النزعة العقلية السلبية حركة عقلية واعية، تقوم على تنفيذ خطة واضحة، ومنهج يتبنى قضايا غير حقيقية، تهدف للقضاء على الملة الإسلامية، عن طريق الناقل الوسيط الفاسد، حيث يستعمل التأويل الفاسد، ثم يدخله إلى النصوص الإسلامية ــ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ــ ثم الإنكار التام للسنة الشريفة كلها [4]، بحيث لا يكون للمسلمين من مصدر صحيح يستندون إليه، أو ركن يعتمدون عليه في تشريعاتهم وأحكامهم، ومن ثم بان أن عداءهم للسنة الشريفة قائم على خطة منهجية يتم توجيههم إليها، والقيام باستمرار عليها .

يمكن القول بأن النزعة العقلية السلبية تدميرية، وانها تستخدم الشبهات العقلية

(١) راجع للشيخ/ عبد العظيم حسن سلطان: أيام العرب في الجاهلية، ص١٢٧، مكتبة ناصر، سنة ١٩٥٧م.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٣) الحافظ ابن حجر: فتح الباري، جـ٦، ص٣٥.

(٤) راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: من وحي البيان في جماعة الشيطان، ص٢١٥، ط. ثالثة، آل بسيوني، سنة ٢٠٠٥ م..

لإضفاء قيمة ما على ما يقومون به من عمليات عدوانية ضد الإسلام، والمسلمين، جاعلين الطعن في السنة الشريفة، والإنكار التام لها، وتحكيم العقل القاصر هو المعيار الذي يجب الرجوع إليه، وهم في كل حالاتهم يتبعون الشيطان ونزغاته، ويعملون على الاستجابة لنداء الهوى ونزواته، والله تعالى من ورائهم محيط .

٦ ــ هي عمل يقوم على تخيلات العقل الفاسد، واعتماد منهج الكذب، والضلال، ومنزع الشر والفساد، وعن طريقة خراب العالم، إذ لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، وهم في ذات الوقت يقفون خلف حجب العقل، وظلماته، وينهجون منهجه، ويتخبطون بين جدران ضلالاته، وكلما قدموا العمل السيء أتبعوه بالأسوأ، ومع ذلك يظنون أنهم الأرقى[١].

ومن المؤكد أنهم لا يدركون وقوعهم في المذلة، والهوان، يختبطون، وبين جدران الهلاك يسيرون، وكأنهم المعنيون بقوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٢].

يقول الشيخ / خاطر: إن أصحاب النزعة العقلية السلبية ينظرون إلى أفكارهم المريضة نظرات تقدير واحترام، وتقديس وإعجاب، يقفون خلفها، ولا يخرجون عنها هم في جميع أحوالهم يستخدمون العقل، وشبهه، ويجعلون أساليبه حصوناً يحتمون بها في مواجهة الحق الذي تمنوا لو تغلبوا عليه، ومن كل فج اجتمعوا إليه حتى ينالوا منه، وهم أصحاب نزعة عدوانية، وسلوكيات سلبية [٣]، من حيث إنهم لا يهتدون للحق، ولا يثوبون للرشد، ومن ثم فلا بد من تداول مواقفهم، والتعامل معها بما ينبغي لها، وبخاصة أن آثارها العديدة على السنة المطهرة باتت ظاهرة للعيان .

(١) الأستاذ/ شلبي السيد شلبي: التيارات الفكرية المعاصرة، ص١٨٩.

(٢) سورة فاطر: الآية ٨.

(٣) راجع للشيخ/ محمد السيد خاطر: الحركات الهدامة في الأمة الإسلامية، ص٨٥، مكتب إبراهيم محرم، سنة ١٩٣١ م..

الفصل الثاني: سمات النزعة العقلية السليمة

تمهيد

من المناسب الجمع في هذا الفصل بين السمات والمظاهر، لبيان الآثار المترتبة بالنسبة للسنة الشريفة، حتى إذا تعرض لها من يريد الحديث عنها، أمكن له الوقوف عليها، والحكم بأنها نزعة غير إيجابية، ويؤكد في ذات الوقت على طبيعة العقل الواعي، حينما ينصرف عن طاعة الله إلى طاعة شيطانه، ومخاصمة ما عداه، ومن ابرز تلك السمات ما يلي:

١ ــ الإختلاط الفكري

من المعلوم أن الله تعالى فطر الإنسان على التناسق والتناغم والانسجام، وهو ما يعني تمام الخلق والخلقة من كافة الجوانب المدلول عليها بما روى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...) الْآيَةَ[١] .

من ثم فالبناء الجسدي، والفكري، والعقلي هو مما فطر الله تعالى الإنسان عليه، بدليل قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٢]، يقول الشيخ / السعدي ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ، تام الخلق، متناسق الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما إليه ظاهراً، أو باطناً شيئاً [٣]، وذلك من ملامح كمال الخلق، وتمام الخلقة، وقد جاء الأنبياء والمرسلون حتى يحافظوا على هذه الجوانب كلها في صورها المتعالية .

(١) صحيح البخاري، جـ ٤، ص١٧٩٢، كتاب التفسير، باب سورة ألم غلبت الروم، حديث رقم ٤٤٩٧، صحيح مسلم، جـ ٤، ص٢٥٤٧، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المشركين، حديث رقم ٢٦٥٨.

(٢) سورة التين: الآية ٤.

(٣) الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٠٣.

غير أن البعض بمجرد أن يتمكنوا من المخالفة، فإنهم يعملون فيها بكل ما لديهم من جهد، لإبرازها، بغية إحداث تغييرات فيما خلق الله تعالى، حتى يكونوا مسخا مشوهة، وهم في ذات الوقت قد استناموا في أحضان الشيطان، وخرجوا من طاعة الرحمن، ومن ثم فإنهم يدعون غير الله تعالى في جميع الأوقات، وكافة أحوالهم .

وقد صورهم القرآن الكريم وما يعبدون، وبين طرائق التعامل التي يصرفهم الشيطان من خلالها، وعليها يتباكون، كما بينت آيات الذكر الحكيم كل أمانيهم، والنهاية التي تنتظرهم، فقال تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[1] .

فهم يكفرون بالله وآياته، ويخرجون على كل ما شرع الله تعالى، وجاء في كتبه، وعلى السنة رسله، حينئذ يقعون في آفات عديدة، ومنها الإختلاط الفكري، حيث لا يرون الأشياء في صورها الحقيقية، ولا الأحكام من خلال الوقائع العملية، كما يفتقدون الشعور الإنساني بأنهم أعضاء في الجماعة الإنسانية [2] .

إن عملية الاختلاط الفكري، يجيء معها على التوازي إختلال عقلي، واضطراب وجداني، يقول الدكتور / أبو العلا: أثبتت الدراسات العلمية في الطب النفسي أن الإنسان الذي يفقد شعوره الإنساني تأتيه الوساوس القهرية، ويختلط في عقله العديد من المعارف الإنسانية، حتى لا يميز بين ما هو مطلوب له، وما هو مطلوب منه، وقد يفقد الشعور بمن حوله، حينئذ لا بد من إدخاله المصحة النفسية، وإلا سيكون

(١) سورة النساء: الآيات ١١٧ ـ ١٢١.

(٢) راجع للدكتور/ إبراهيم محمد راشد: الإنسان والعقيدة، ص٩٨، ط. ثانية، مكتبة المهدي، سنة ١٩٨٧م..

بحاجة إلى مصحة عقلية، ومن ثم يصعب أمر علاجه، وإعادته إلى الحالة الطبيعية[1].

ويعرف الإختلاط الفكري بأنه حالة نفسية تقع للفرد فيها تداخلات متعددة، تفقده القدرة على التمييز، والعمل الإيجابي، بل تفقده الشعور بأبسط البدهيات الإنسانية، ومن ثم يتشكك في العقيدة الدينية، ويتوقف عن القيام بالعبادات التي كان يقوم لها، بل تشكك في صدق المحيطين به[2]، ومع هذا يجادل في كل شيء، وهو غير واع لما يجب أن يقوم به، ولا مدرك لنتائج ما هو فيه .

ويذهب الدكتور / فائق:إلى أن عملية الإختلاط الفكري تجعل الواقع تحت سيطرتها أول أمره يشك في الله، والدين، والمصادر الأصيلة التي يقوم عليها، بل والقيم الإنسانية الثابتة، وكلما إزدادت الحالة لديه، إتسعت مساحة الإلحاد عنده، لأنها المنطقة الأولى التي تبدو فيها الآثار الناجمة عن عملية الإختلاط الفكري [3] .

ويعتقد جيمس لوكان: أن الفكر هو العامل الأساسي الداخلي المؤثر في حياة الفرد، فإذا كان سليماً برزت للفرد اتجاهات إيجابية متوزانة، وإذا حدث إختلاط فإن ذات الفرد تصدر عنه عمليات عقلية غير إيجابية على الإطلاق، وأولى الخطوات التي يقوم بها هي الإلحاد في الدين، والطعن عليه، والتهكم من نصوصه، ومحاولة إيجاد بديل عنه، ولا مانع لديه من تجاوز كل هذه المراحل في أوقات قصيرة جداً[4].

ويكرر ذات النتيجة هورمان الذي يقول: إن الإنسان السوي تصدر عنه أفكار متوازنة، أقربها إلى القبول التمسك بالدين، والسعي إلى مصادره، وقد ثبت أن

(١) الدكتور/ أحمد أبو العلا: الطب النفسي ومدارسه، ص٧٨، ط. ثالثة، سنة ١٩٩٧ م..

(٢) الدكتور/ رمزي حسن سالم: الطب النفسي ومشكلاته، ص٤١ ، ٤٢، ط. ثانية، سنة ١٩٩١.

(٣) الدكتور/ رامز فائق: الطب النفسي والإخصائي الإجتماعي، ص١٣١، ط. ثالثة.

(٤) الدكتور/ جيمس لوكان: الطب النفسي الحديث، ص٤٥، ترجمة عادية عبد الرحمن ط. ثالثة، سنة ١٩٨١ م..

المتدينين على المنهج الصحيح، لا يعانون من آية مشكلة فكرية، أما الإنسان غير السوي فأفكاره تجيء مضطربة، يحوطها الإختلاط من كل ناحية، وأبرزها الإلحاد، والجدل في الدين، وإنكار الأصول التي يقوم فيها، والمصادر التي يعتمد عليها، ومع أنه مريض نفسي، إلا أنه لا يقر بهذا المرض، وليس لديه أي إستعداد للإعتراف بأنه مريض نفسي [1]، بل بالعكس أنه ينظر للآخرين على أنهم المرضى، وليس هو المريض .

والتطبيق العملي لما ينبه إليه ذو الاختصاص في الطب النفسي على المتطاولين للسنة الشريفة بالإنكار لها، والتجني عليها، نراهم مرضى أوهام، وقعوا في نطاق المرض، الذين لا يدركون أنهم يعانون من الآفات النفسية، من حيث إنهم يكذبون بآيات الله تعالى، ويجادلون في صحيح المصادر الإسلامية، ويطعنون على الكتاب والسنة، ثم يتمسكون بما صنعته لهم خيالاتهم المريضة، ويطلقون عليهم اسم الأدلة، أو الحجج، وما هي إلا شبهات، وظنون، وأوهام [2] لا قيمة لها في الواقع العملي .

من ذلك ما يقوله محمود طه: إن الله له ثلاث تنزلات: تنزل من عالم الألوهية إلى عالم الربوبية، وتنزل من عالم الربوبية إلى عالم الملائكية، وتنزل من عالم الملائكية إلى عالم الإنسانية التي استقر فيها أمره، حتى أنك إذا أردت أن تراه تمكنت منه [3].

وكان فردريك نيتشه الألماني، يقول: إن الإله قد مات، وقبر، كما يقول الكتاب

(١) الدكتور/ جورج هورمان: المرض النفسي وأخطاره، ص٦٨ ، ٦٩، ترجمة نادر سالم، ط. أولى، سنة ١٩٥١، وراجع للدكتور/ جورج بهمان: الطب النفسي المعاصر، جـ ١، ص٩٣، ترجمة عايدة زكي، مراجعة الدكتور/ أحمد زكريا.

(٢) راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة، ص١٣٧، ط. العاشرة.

(٣) محمود طه: الثورة الثقافية، ص٧٨، ط. أم درمان، سنة ١٩٧٥.

المقدس، ولم يعد هناك إله، فإن يكن لا بد من وجود إله، فلن يكون سوى الإنسان الأعلى وهو نيتشه ذاته[1]، الذي كفر بالله رب العالمين، وجادل فيه، وظل على حاله حتى هلك بأمراضه النفسية، والعقلية.

لقد نادى البابيون بزعيمهم إلهاً، وبما زعمه من نزول كتاب مقدس عليه، وصنع ذلك البهائيون، وشاركهم تلك الكبائر القاديانيون، وأثبتت الدراسات التي أجريت عليها، والتي تناولت أخبارهم انهم كانوا من المرضى النفسانيين الذين لم يتم علاجهم، وظلوا يعانون منها حتى هلكوا أجمعين [2]، وهو ديدنهم الذي لم يخرجوا عنه، ولم يفكروا في التخلص منه .

كيف لا وقد رأينا من يطلقون على أنفسهم جماعة القرآنيين، يزعمون وجود شبهات على سنة سيد المرسلين، يريدون بها قطعها عن الاحتكام إليها، والاستدلال بها، بل وينادون بوجوب تركها، وإهمالها، والإنصراف عنها [3]، مع أنها وحي من رب العالمين، وفيها تفسير وبيان، وتوضيح، وإجمال للقرآن الكريم .

يقول الشيخ / عبد الرزاق عفيفي: إن المنكر للسنة الشريفة قد يكون منكراً للسنة من أصلها، أي جميع ما جاء عن الرسول ﷺ من الأحاديث قولاً، أو عملاً، أو خلقاً ينكره، ويكتفي بماجاء في القرآن الكريم، ثم ينقض كل ما قالوه، مؤكداً أن واقع التشريع، وعمل المسلمين جميعاً، برهان واضح يدل دلالة ضرورية على أن السنة الشريفة جاءت بياناً للقرآن، حيث بينت في مكة ما يحتاجون إليه، بقدر ما نزل من

(١) راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: نيتشة وفلسفة القوة، ص١٧٨، ط. الرابعة، سنة ٢٠١٣ م..

(٢) راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: تأملات غزالية في النحل الشيطانية ـ البابية والبهائية والقاديانية ـ حيث بين ضلالاتهم وأوهامهم، كما ذكر نبذة مركزة عن حياتهم، وظروف نشأتهم، والأيادي الاستعمارية التي صنعتهم، وكانت تجري معهم.

(٣) راجع للدكتور/ محمود محمد مزروعة: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٤٥٥.

أحكام أصول التشريع، وبينت في المدينة ما طرأت الحاجة إليه، من بيوع ومعاملات، وجنايات وحدود [1]، إلى غير ذلك مما جاءت به السنة المباركة ٠

إن أصحاب النزعة العقلية السلبية يتمسكون بشبهات شيطانية، تمت صياغتها في قوالب لغوية على ناحية جدلية، أو تجيء تحت اسم الأبحاث العقلية، والنتائج المعرفية، مع أنها جميعاً تجري فيها الاختلالات البنائية، والانفلاتات العقلية، بل والقيمة الإخلاقية إلى غير ذلك من الوجوه ٠

يقول الدكتور/ هاشم: إن الإختلاط الفكري قد اصاب منكري السنة، حتى أستولى عليهم، فصاروا ينظرون لكافة الحقائق على أنها شبهات، ويظنون انفسهم على أوفى القدرات، ولا مانع لديهم من تنصيب أنفسهم مقام الأنبياء والمرسلين، وهذا في حد ذاته كاف للحكم عليهم، بأنهم فقدوا كافة المقومات[2]، ومثلهم لا يلتفت إليهم ذو عقل سليم، كما لا يقترب منهم صاحب بيان مستقيم، ولا بد من علاجهم حتى يبرؤا من أمراضهم، حتى يُخلصَّ الله رب العالمين، أمة الإسلام من شرورهم ٠

٢ ــ الاضطراب السلوكي

السلوك هو الجانب التوظيفي للقدارت والملكات والإمكانيات من حيث إنه الذي يبرز كافة الجوانب على السطح، فهو بمثابة المظهر العام لقوى النفس الداخلية، وكلما كان إيجابياً، حقق العديد من النتائج التي تخدم أهداف المجتمع، وتحقق غايات الشريعة ٠

ويذهب علماء الأخلاق إلى أن السلوك هو الصورة العملية البارزة لكافة القوى

(١) الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي: شبهات حول السنة، ص٦، ص١٠، ط. وكالة المطبوعات والبحث العلمي بالمملكة العربية السعودية.

(٢) الدكتور/ هاشم محمد هاشم: مشكلات منكري السنة، ص٧٣ ، ٧٤، ط. أولى، مكتب الوفاء، سنة ١٩٨٠ م..

النفسية والقيم الأخلاقية [1]، بحيث لا يكون شيء منها بعيداً عن واقع الإنسان المعايش له وقديماً قالوا:

ومهما يكن عند أمرئ من خليقة ٠٠ وإن خالها تخفي على الناس تعلم

ولما قال المشركون في رسول الله ﷺ أنه أصابه شيء من الجنون، جاء الرد العملي عليهم ببيان أن المجنون لا تكون أخلاقه مستقيمة، والفطرة الإنسانية شاهدة به، والوقائع الحياتية معلنة له، فقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [2]، ومن ثم ثبت أنه صلي الله عليه، وسلم ــ أعلى الأخلاق وأرقاها، وأتمها وأوفاها ٠

يقول الشيخ / البرسوي: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ لا يدرك شأنه أحد من الخلق، ولذلك تحتل من جهتهم ما لا يكاد يحتله البشر، متخلقاً بأخلاق الله، فلا يتأثر بافتراءاتهم، ولا يتأذى بأذاهم، واصبر وما صبرك إلا بالله، وكلمة على للاستعلاء، فدلت على أنه ﷺ يشتمل على الأخلاق الحميدة، ومستول على الأفعال المرضية، حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية له، إذ هو ﷺ في كل ذلك ليس من المتكلفين [3]، ومن ثم فالأخلاق العظيمة، والأفعال الكريمة دالة على التوافق السلوكي، والانضباط القيمي٠

أما أصحاب النزعة العقلية السلبية فإنهم يعيشون في اضطراب سلوكي متواصل لأنهم يعتقدون اعتقادات فاسدة، ويمارسون أعمالاً غير مشروعة، فهم كالذي يتخبطه الشيطان من المس، بدليل أنهم يربطون في موضع ما يحلونه في آخر، ويعلنون تصديق شيء في وقت، ثم ينكرونه في وقت آخر، مع أنه ذات الشيء الذي سبق لهم التصديق به [4]، وذلك مما يدل على قصورهم، وعجز إفهامهم ٠

(١) جورج إدوارد: الواقعية والإنفعالية، ص٣٧، ترجمة أمل المراكبي، ط. ثانية، سنة ١٩٨٧ م..

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) الشيخ/ إسماعيل حقي البرسوي: تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، المجلد الرابع، ص٣٧٤، ط. دار الصابوني الأولى، سنة ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م. ٠

(٤) راجع للدكتور/ على عبد الرحمن الصعيدي: الاضطرابات السلوكية وأثرها على الحياة المجتمعية، ص٨٨، ط. ثانية، مكتبة فوزي، سنة ١٩٩٨ م..

ويقول جورج هيرمان: إن الاضطرابات السلوكية تظهر غالباً لدى المضطهدين، والذين يعانون من عقدة جلد الذات، وأولئك الذين خرجوا عن الدين إلى غيره، بجانب أولئك الذين كانوا يتناولون الدواء للعلاج، ثم توقفوا عنه قبل أن يحصل لهم الشفاء الكامل من الآفات التي ألمت بهم، وازدادت قسوتها عليهم [1]، ومن ثم فالاضطرابات السلوكية تظل علامة مميزة لهم .

ويؤكد الدكتور / أحمد على: أن الاضطرابات السلوكية نوع من انواع الأمراض النفسية، ومن مظاهرها عدم الثقة في النفس، بجانب الرغبة في قدح الآخرين، وفوق ذلك فإن الذي تصيبه يقع له التردد في كافة الأحكام التي يقف عليها، ثم يتحول بها من ناقد، ومصحح، إلى متعصب، حتى كأنه لا يرى سواها، ولا يعرف شيئاً عما عداها[2].

بل إن أصحاب الاضطرابات النفسية لا يرون الكذب مذمة، ولا عملاً قبيحاً، وإنما يرونه أمراً مشروعاً، وعملاً جميلاً، من حيث إن الغاية تبرر الوسيلة، ويطلق عليهم وصف المرضى التبريريين، يقول الدكتور / دوهان: لقد فحصت المئات، بل الآلاف من المرضى المصابين بالاضطرابات السلوكية، فوجدت أن الكذب قاسم مشترك بين الجميع، بل إنهم يكذبون كثيراً على أصحاب القيم، وصانعي البطولات بغرض الإستنزال منهم، وتصفية الحسابات معهم، كأنهم في حرب لم تتوقف بعد[3]، وهؤلاء يعيشون فيه، ولا يخرجون عنه .

وإذا أردنا النظر في الاضطراب السلوكي وأثره بالنسبة لأصحاب النزعة العقلية

(١) الدكتور/ جورج هيرمان: الاضطرابات السلوكية والعقد النفسية، ص٤٥ ، ٤٦، ترجمة عزة جبر وصابر حسن، مراجعة الدكتور/ فوزي رزق.

(٢) الدكتور/ أحمد على صابر: النرجسية والمشكلات النفسية، ص٨٨، ط. أولى، سنة ١٩٨٧ م..

(٣) الدكتور/ جورج دوهان: خمسون سنة في المصحة النفسية، ص٨١، ٨٢، ترجمة على زكريا والدكتور/ أنس جوهر، مراجعة الدكتورة/ وفاء صابر

السلبية لا نجد صعوبة من ناحية التطبيق، أما لماذا ؟ فهاك بعضاً منها:

ذكر أبو رية أن أبا هريرة ﷺ قدم المدينة بعد أن تخطى الثلاثين من عمره [1]، وكان النبي حينئذ في غزوة خيبر التي وقعت عام ٧ من الهجرة المباركة [2]، ثم يذكر إجماع رجال الحديث على أن أبا هريرة ﷺ كان أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله ﷺ، على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاماً وتسعة أشهر[3].

والمعلوم أن أبا هريرة ﷺ لم يفارق رسول الله ﷺ حتى انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى في العام الحادي عشر من الهجرة المباركة، الثاني عشر من ربيع الأول ٨ يونيه سنة ٦٣٢ م. [4]، ومن ثم تكون صحبة أبي هريرة ﷺ للرسول ﷺ قد استغرقت أكثر من أربع سنوات كاملة أما لماذا ؟

فلأن غزوة خيبر كانت في شهر الله المحرم عام ٧ من الهجرة المباركة [5]، وإنتقال الرسول ﷺ للرفيق الأعلى كان في ربيع الأول سنة ١١ هـ، بل هي أربع سنوات وشهرين بالحساب الرقمي الإحصائي [6]، وهي مدة كافية لأن يكون أبو هريرة ﷺ هو الأكثر حفظاً للسنة المباركة، وبالتالي كذب أبو ريه في الموضعين، والمترتب عليهما، وهو مما يؤكد أنه تعمد الكذب على الصحابي الجليل لينال من سند

(١) الثابت أنه لم يكن قد بلغ الثلاثين، وإنما تجاوز السابعة والعشرين، وقارب الثلاثين راجع: صفة الصفوة، وراجع الإستيعاب، والبداية والنهاية، والإصابة، وغيرها.

(٢) محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١٦٩، ط. السادسة، دار المعارف بالقاهرة.

(٣) راجع لأبن كثير: البداية والنهاية، جـ٨، ص١٠٨، نقلاً عن أضواء على السنة، ص١٧٣.

(٤) الدكتور/ محمود محمد زيادة: العرب وظهور الإسلا م، ص٣٤٩، ط. دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

(٥) راجع للشيخ/ محمود الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص١٩٥، وراجع لزيادة: العرب وظهور الإسلام، ص٢٩٥.

(٦) تحسب السنة السابعة كاملة، ثم الثامنة فالتاسعة، ثم العاشرة، وهي أربع سنوات، ثم يحسب شهور المحرم، صفر، من السنة الحادية عشر، فيكون ذلك هو المجموع الذي قضاه أبو هريرة في صحبة رسول الله ﷺ.

السنة الشريفة .

فأبو رية يحاول تكذيب أبي هريرة ﷺ، لكن الله تعالى يبرئه من استنتاج أبي رية، بل ويقع أبو رية ذاته في الكذب الذي حاول نسبة الصحابي الجليل إليه، وذلك مما يؤكد أن أصحاب النزعة العقلية السلبية يفقدون الشعور بالمسؤلية .

٢ ــ أن ابا رية يكذب على أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ كما كذب على المؤرخين، ودلس حيث يقول: أجمع مؤرخو أبي هريرة أنه كان رجلاً مزاحاً، مهذارًا، يتودد الناس، ويسليهم بكثرة الحديث، والإغراب في القول، ليشتد ميلهم إليه، ويزداد إقبالهم عليه [١]، ثم يزعم أن أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ قالت أنه كان رجلاً مهذاراً [٢] .

وهل ما ذكره أبو رية يتفق مع ما نقله ابن الجوزي عن عكرمة من أن أبا هريرة كان يسبح الله تعالى في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، ويقول: أسبح بقدر ذنبي، وهل يتفق أن يكون أبو هريرة مهذاراً وهو الذي بكى في مرضه الذي توفي فيه، فقيل له ما يبكيك ؟، فقال أما أنه ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي،وأني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، ولا أدري أيهما يؤخذ بي[٣]، إن اتهام أبو رية لا يستقيم أبداً .

لقد ركز أبو رية على الطعن في الصحابي الجليل، والصاق كافة الصفات السلبية به، حتى يبعد مروياته عن الآخذ بها، وهو كاذب في كل ما زعم، وابو هريرة بريء من كل ما نسب إليه، والواقع المعاش أعلن كذب كل من حاولوا الصاق التهم

(١) هو يقدم المزاعم الفاسدة دون أن يقدم دليلاً عليها، أو يحيلها إلى مصدر يتم الوقوف عليه، والرجوع إليه، وبالتالي فهو كذاب من حيث نسبة الآراء إلى غير أصحابها، بل هي من وضعه ذاته، قصد بها الكيد للصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ.

(٢) محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١٧٣.

(٣) العلامة/ ابن الجوزي: صفة الصفوة، سـ ٢٨٧.

بالصحابي الجليل، وسهامهم ترتد إليهم .

ويذكر الأستاذ / نصار: أن المستغربين أذناب المستشرقين تحكمت فيهم العقد النفسية، والاضطرابات السلوكية، وقد بدت مظاهرها في طعنهم على السنة الشريفة، ورمي رواتها الأماجد بما لا يصح إيراده عليهم، وتمادوا في ذلك كله حتى وصلوا إلى ذروة الجهل، والإنكار، وكل عباراتهم شاهدة عليهم [١]، حاكمة بأنهم في ضلال يعمهون.

بل إن خلفاء بني أمية كانوا يعقدون لأبي هريرة ما يشبه الامتحانات الشفوية حتى يروا أغيَّر وبدل، أم بقى على حاله مما روى، فيذكر ابن حجر أن مروان أرسل إلى أبي هريرة فجعل يحدثه، وكاتب مروان جالس خلف السرير يكتب كل ما يحدث أبو هريرة به، حتى إذا كان في رأس الحول، أرسل مروان إلى أبي هريرة وأخذ يسأله عن ما سبق، وكاتبه ينظر حتى إذا انتهى قال ذات الكاتب فما غير حرفاً عن حرف[٢]، ولو كان كاذباً لغير في الكتاب من المفردات والجمل، والمكتوبات، إنما الكاذب هو الذي غير وأضاف، وحذف ونسب إلى الصحابي الجليل ما لم يقل به، ولم يفعله.

ويقول الدكتور / أبو شهبة: ماذا ينقمون من أبي هريرة ؟ أينقمون عليه أنه كان رجلاً فيه دعابة، وفكاهة، ومزاح، لا يخل بدين، ولا مروءة، فهذا مما لا ينبغي أن يعاب به شخص، بل لم يخل عصر من العصور من علماء أجلاء، وكانت لهم دعابة مقبولة، وخفة روح [٣]، بما لا يخل بمروئتهم، ولا يقلل من سعى أهل العلم إليهم .

غير خاف أن الاضطراب السلوكي قد يؤدي بصاحبه إلى المقاتلة، والمصارعة،

(١) الأستاذ/ حسن السيد نصار/ المستشرقون والمستغربون وشبهاتهم في الإسلام، ص١٨٧، مكتب السيد صادق، سنة ١٩٩٧ م..

(٢) العلامة/ ابن حجر: الإصابة، جـ٤، ص٢٠٥.

(٣) راجع للدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص١٢٠.

كما يؤدي به إلى إنكار الحقائق والطعن على البدهيات، وهو في كل أحواله لا يهاب أحدا، نظراً لفقدانه حاسة الشعور باتجاهات الآخرين، ومن ثم فلا مانع لديه من إنكار وجود الله تعالى، وإنكار كل شيء، حتى وجوده ذاته، المهم أنه واقع في نطاق قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾[1].

ومتى تمددت عمليات الاضطراب السلوكي داخل الفرد، كان لها العديد من الآثار على السنة النبوية الشريفة، ومن أبرزها الإنكار لها، والطعن على نصوصها، ومحاولة النيل من رواتها، والسعي لإسقاط القداسة، وإزاحة العصمة عن النصوص التي تتمثل فيها، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ ــ التسطح المعرفي

صاحب النزعة العقلية السلبية لديه شعور دائم بأنه في حاجة إلى العلم طلباً له، وعملاً به، وهو ما يعرف بالنظري والتطبيقي، رائده في هذا وذاك الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي حثت على العلم، وبينت فضله، والفوائد التي تعود على طالبه في الدنيا والآخرة، من ذلك قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[2]، ومن ثم فهم أهل المحبة لله، والخشية منه جل علاه .

ثم إن طلب العلم فريضة، وبذله له من الفوائد ما لا يحصى، ومن الحكم زكاة العلم الإنفاق فيه، وتعلمه، وتعليمه، كما أن العلم نور إلهي، وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أنه تعالى لا يهدي نوره لعاص أبداً من حيث إنه ليس لديه استعداد التعلق به، أو الإستفادة منه .

كما نبهت السنة الشريفة المباركة إلى الفوائد المترتبة على العلم من ناحية العلم

(١) سورة الزخرف: الآيات ٣٦ـ٣٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

والعمل معاً، من ذلك ما روى عن انس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: من عمل بما يعلم، ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم[1]، وهو المعروف بالعلم اللدني، المشار إليه في الآيات القرآنية بقوله تعالى ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾[2].

يقول الشيخ / البنهاوي: جرت سنة الله تعالى في الأمة الخاتمة أن من تعلم علماً مشروعاً وعمل به، فإن الله تعالى يجازيه في دار الدنيا،بأن يفيض عليه من علمه، وهو العلم اللدني، حتى يكون بين الناس وارثاً لما لم يرثوه، عارفاً بما لم يعرفوه، فضلاً من الله تعالى ونعمة، وفوق كل ذي علم عليم [3]، وما ذلك على الله بعزيز .

أما صاحب النزعة العقلية السلبية فإنه ينظر لنفسه على أنه أعلى من الجميع، أنه أفضل منهم علماً، وأعلى قدراً، وأرفع منزلةً، بل ربما تصور نفسه قد تفرد بكل أوجه الكمال والامتياز، وكلما تلاقى مع غيره حاول الضغط على معارفهم حتى ينصاعوا له، ويذعنوا أنه أعلى من جميعهم علماً، وأوفى فهماً، وأقدر على ممارسة التفكير السليم وحده، مع التعبير عنه، ومع أنه في ذات الوقت لا يملك آية مقومات معرفية، بحيث تجعل ميزانه قريباً من غيره، وإنما هو الأدنى في التسطح المعرفي الذي يمكن التعبير عنه بفقدان العلم النافع، والفكر السليم [4] .

والقاعدة أن من اعتصم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ فقد استضاء بالنور واستفتح باب الرشد، وطلب الحق من مظانه، وليس يدفع أصحاب الحديث عن ذلك إلا ظالم، لأنهم لا يردون شيئاً من أمر الدين إلى استحسان أو قياس نظر[5]، لأنهم

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، جـ ١٠، ص١٥، الطبعة الرابعة، وللعلامة/ الذبيدي: إتحاف السادة المتقين، جـ١، ص٤٠٣، ط. دار الفكر

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٩.

(٣) الشيخ/ محمد عبد العظيم البنهاوي: تفسير سورة الكهف، ص٨٩ ، ٩٠، المكتب العربي، سنة ١٩٦٥م..

(٤) الدكتور/ أحمد أبو العلا: الطب النفسي والأخصائي الإجتماعي، ص١٢٥.

(٥) الإمام/ ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث، ص٥٩، ط. دار الكتاب العربي بيروت.

أصحاب الحديث، وأهل النقل، وبالتالي فمصادرهم قائمة في الكتاب والسنة الشريفة، وما أتفق عليه علماء السلف الصالح أهل السنة والجماعة .

ولما كانت قشور العلم تضل، فإن أصحاب النزعة العقلية السلبية، والتسطح المعرفي يعيشون في ضلال مبين، حتى يخرجوا منه، ويعودوا إلى رشدهم، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون [1]، ومن الأدلة على هذا التسطح المعرفي موقفهم من زواج الرجل بما معه من القرآن الكريم .

أخرج البخاري في صحيحة عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله جئت أهب لك نفسي، قال: فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعد النظر فيها، وصوبه، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه ﷺ لم يقض فيها شيئاً، جلست .

فقام رجل من أصحابه، فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال ﷺ وهل عندك من شيء. قال لا والله يا رسول الله، فقال ﷺ أذهب إلى أهلك، فأنظر هل تجد شيئاً، فذهب، ثم رجع، فقال لا والله ما وجدت شيئاً، فقال رسول الله ﷺ أنظر ولو خاتماً من حديد، فذهب، ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد [2]، ولكن هذا إزاري .

قال سهل ما له من رداء، فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ ما تصنع بإزارك، إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله مولياً، فأمر به، فدعى، فلما جاء قال رسول الله ما معك من القرآن، قال معي سورة كذا، وسورة كذا، فقال ﷺ تقرؤهن عن ظهر قلبك، قال نعم، قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن [3] .

(١) كلما جنح المرء العاقل إلى رحاب الله، أنجاه جل علاه، وجعل الخير زاده ونجواه، وهي سنة إلهية، ونعمة ربانية .

(٢) ليس المراد مجرد الخاتم، وإنما المطلوب ما يطيب به خاطر المرأة، ويقع منها موقع العطية المقبولة.

(٣) الإمام/ البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، رقم ٦٧، باب رقم ١٤، تزوج المعسر.

غير أن أصحاب النزعة العقلية السلبية نظراً لتسطحهم المعرفي، اعتبروا أن الحديث الشريف أهدر حق المرأة التي تزوجت بما مع الرجل من القرآن الكريم، وكان يجب أن يعطيها مهراً مادياً، يعلو به رصيدها في البنك، لأن المهر يدفع لبنات حواء لترتفع به الواحدة بين الأتراب، تستثمره في زراعة، أو صناعة، أو تجارة، بحيث يدر عليها ربحاً مادياً تطاول به نجوم السماء علياء بعلياء، وبالتالي فالحديث معيب [1].

ثم إن الرجل لم يقدم للمرأة شيئاً سوى القرآن الكريم، وهو لا يصح للاستثمار في زراعة، أو صناعة، أو تجارة، بل لا يكسو عرياناً، ولا يشبع جائعاً، أو يروي ظمآناً، وبخاصة أن المرأة التي طلبت الزواج كانت معسرة، ولولا ضيق اليد ما عرضت نفسها للزواج بهذا الشكل .

كما زعموا ان الرجل الذي طلب المرأة للزواج من النبي ﷺ إنما كان ذلك الطلب منه لإشباع رغبة جنسية بلا مقابل، وكان الواجب أن يتم رفض الطلب من الرجل، لأنها جاءت لتعرض نفسها على الرسول ﷺ لا على الرجل، وأمثاله، وبناء عليه اعتبروا الحديث الشريف غير صحيح، بل هو معيب [2]، مع أن العيب فيهم، والكمال في كل ما جاء من عند الله تعالى في الكتاب والسنة

يقول الدكتور / حبيشي: وخلاصة القول فيما ذكر القوم أن هذا الحديث مردود لأمرين:

أحدهما: أنه مناف لغاية الزواج العظمى، وغاية الزواج العظمى كما يرى هؤلاء، هي تحصيل الأموال للاستعانة بها على شئون الحياة، والمهر أول تلك

(١) راجع للأستاذ/ حسن السيد صابر: المستغربون والسنة الشريفة، ص١٤٥، ط. ثانية، سنة ١٩٤١م..

(٢) راجع للأستاذ/ عبد اللطيف السد حسن: شبهات في طريق السنة، عرض ونقد، ص١٩٥ ، ١٩٦، مكتبة صابر.

الموارد المالية[1]، كأن العلاقة الزوجية خلت من السكن، والمودة، والرحمة، وتحولت إلى نوع من التجارة.

ثانيهما: أن الحديث مخالف لغاية القرآن الكريم، وغاية القرآن أنه كتاب هداية حوله النبي ﷺ إلى سلعة يمكن أن تكون ثمناً في سوق المال، تؤخذ في مقابلها الأعيان، والمنافع، ومنها الانتفاع بالإبضاع، ولهذا ردوا الحديث وأمثاله [2].

إن هؤلاء المسطحين كانوا عبئاً على ما قاله المستشرقون من أن الغاية من الزواج هي الإنفاق على المنزل، وتربية الأولاد، فإذا كانت الدولة قد قامت بالإنفاق على المنزل، بعد إنشائها وزارات الضمان الإجتماعي، والجمعيات الخيرية، وقامت الملاجيء ودور الحضانة بالتربية، فلم يعد الزواج أمراً مطلوباً [3]، بل صارت الخليلة هي الأولى من الحليلة ومن الأولى تناسى قصة الزواج الرسمية، ومحوها من السجلات الحكومية، ولو أن هؤلاء يمتلكون أدنى قدر من الثقافة العميقة، لما اعترضوا على الحديث، وما وقعوا في إنكاره، أو رده، لماذا ؟

أ ــ إن الزواج في الإسلام قائم على السكنى، والمودة، والرحمة، وكلها عناصر ليست مادية، ويترب عليها الخير كله، وذلك من آيات الله في الإنسان، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [4].

ب ــ إن الإنسان محتاج في بقائه إلى أبنائه، وأحفاده، ولا يحقق ذلك إلا الزواج وحده، فهو السبيل إلى راحته القلبية، وسكنه إلى القلب الحاني الذي يحنو عليه،

(١) يبدو أنهم ينظرون للمرأة على أنها مصدر دخل، وأن وجودها في الحياة لإشباع رغبات الرجل بمقابل، تحت اسم الشرع، وهو من ضلالاتهم، وعلامات انفلاتهم، وما يتعلق بهم.

(٢) الدكتور/ طه الدسوقي حبيشي: ضلالات منكري السنة.

(٣) الدكتور/ عبد الله صالح طلبة: الزواج في الإسلام، ص١١٨، ط. ثانية، سنة ١٩٧٨ م..

(٤) سورة الروم: الآية ٢١.

ويشاركه السراء والضراء، وذلك من آلاء الله تعالى، قال جلَّ شأنه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [1].

جـ ــ إن الزواج ميثاق غليظ، وعهد قوي، يتعذر حله [2]، فيربط القلوب، ويحفظ المصالح، ويندمج فيه كل من الطرفين مع صاحبه، فيتحد شعورهما، وتلتقي رغباتهما في هذه القاعدة ، هن لباس لكم، وأنتم لباس لهن، بما يؤكد أن العلاقة الزوجية أسمى في معنى الترابط، والاندماج، من كافة العلاقات الأخرى .

د ــ إن الزواج فيه معنى الترابط والاندماج أكثر من علاقات الصداقة والأبوة والبنوة، وأنها ليست كما يظن من لا يفهمون حقيقتها، ولا يعرفون وضعها في الحياة، عقداً كسائر العقود، ثمراتها في الانتفاع والملك والتسخير، يقول الشيخ / شلتوت: وأعتقد أن الذين يضعون العلاقة الزوجية هذا الوضع هم قوم لم يشرق على قلوبهم النور الوضاء[3] المنبعث من قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [4].

هـ ــ إن الشريعة الإسلامية اعتبرت المهر منحة يتقدم بها الزوج للتعبير عن تقديره للمرأة، ورغبته في إتمام الزواج منها، وجاءت الإشارة الواضحة إليه في القرآن الكريم والسنة النبوية بالتيسير في المهور، من ذلك من بركة المرأة سرعة تزويجها، ويسر مهرها، ومنها خير النساء أحسنهن وجوها، وأرخصهن مهورا، قال

(١) سورة النحل: الآية ٧٢.

(٢) أبغض الحلال إلى الله الطلاق، ومع أنه حلال في حد ذاته، إلا أنه وقع له البغض بإعتبار النتائج المترتبة عليه، وفي الحكم يقولون: ما هو الشيء الذي أحله الله تعالى وأبغضه، أو كرهه، فيأتي الجواب بأنه الطلاق.

(٣) الشيخ/ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، ص١٤٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

تعالى﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[1]، ومن ثم فالمهر حق للزوجة، ولها أن تقبله على أية صورة، أو تتنازل عنه كلاً أو بعضاً على أية ناحية من الأنحاء، فهذا مما اختصت به المرأة العاقلة دون منازع .

و- إن المرأة كانت حاضرة المجلس، وما تم فيه من تحاور، فكأنها أنابت رسول الله ﷺ في تزويجها، وكافة المراحل قد كان حضور المرأة فيها، ومن ثم فإن كل ما تم كان يوافق الرغبة الأصيلة لديها، واستعملت حقها المشروع في أن يكون المهر هو ما مع الرجل من القرآن الكريم، حيث يحفظه إياها، فيكون شفاء لها في الدنيا، ونوراً لها في الآخرة، قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2]،

٧ ــ غاب عن هؤلاء المسطحين معرفياً أن الجهد المبذول يصح أن يكون مهراً للمرأة، إن هي ارتضته، أو وليها، يدل عليه ما وقع مع نبي الله موسى الكليم بن عمران مع الرجل الصالح، قال تعالى حاكياً أمرهم ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[3]، وقد ارتضت المرأة المسلمة الجهد المبذول من زوجها في تعليمها ما معه من القرآن الكريم مهراً لها، يقول الدكتور حبيشي: وثمرة هذا لجهد المبذول أن هذا القدر من القرآن بدل أن كان في صدر الرجل، صار في صدر الرجل وفي صدر زوجته، وقد انتفعت به المرأة، وهو صداقها[4] الذي ارتضته، وحقها الذي مارسته .

يمكن القول بأن التسطح المعرفي له آثار سلبية على السنة الشريفة، وبخاصة

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(٣) سورة القصص: الآيتان ٢٧ ، ٢٨.

(٤) الدكتور/ طه الدسوقي حبيشي: ضلالات منكري السنة، ص٥٦٢.

حينما تنتشر بين الناس هذه الجهالات على أنها معارف صحيحة، وتنشر بين العوام باعتبارها من الأبحاث التي لا بد من الر جوع إليها حول السنة، ومن ثم تزداد الخطورة على السنة الشريفة متناً وسنداً، دراية ورواية .

٤ ــ احترام الإختلال الثقافي

صاحب النزعة العقلية الإيجابية شخص عاقل واع، يتمسك بالثقافة الإسلامية الأصيلة، القائمة على الكتاب والسنة الشريفة، وما أفرزته اجتهادات علماء السلف الصالح، لا ينزع عنها، ولا يفضل شيئاً عليها، إنه حريص عليها كل الحرص فهي ثقافته الإسلامية، التي يعتز بها، ويفاخر بوجودها، لسان حاله يردد: الحمد لله أن جعلني مسلماً متمسكاً بالكتاب والسنة[1] .

أما صاحب النزعة العقلية السلبية فإن ولاءه المعرفي إنما يكون للثقافات المتباينة، التي لها اثر واضح، وخطر كبير على عقله، وتحتل مساحة واسعة من وعيه الداخلي، كما تشغل مساحة واسعة من وجدانه الذاتي، وعقله المعرفي، حتى أنها لتزيح من طريقها الثقافة الأصيلة بحجة أنها تقليدية، وربما سارع إلى رميها بالعقم، وإتهمها بالتخلف والرجعية، أو تصويرها بالصور المتدنية التي لا مجال لقبولها، ولا حاجة من حيث الإحتكام إليها[2] .

بل إنه من شدة احترامه لها، واستسلامه لكل جوانبها، يتحول إلى تابع لها، قائم على خدمتها، لا يملك أسباب الخروج عليها، وإن وجدت فلا يملك من الجرأة ما يدفعه إلى ذلك التخلي، أو يقترب منه على ناحية من النواحي، أو صورة من الصور، فهو إمعة بكل مقياس يحسب عليه[3] .

(١) صاحب النزعة العقلية الإيجابية مشغول بتوجيه الرسول ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهدين عضوا عليها بالنواجز، وأعظم به من شعور داخلي، واغتباط ذاتي واقتناع ما بعده اقتناع.

(٢) الأستاذ/ مصطفى محمد مصطفى: الاستعمار الثقافي للأمة الإسلامية، ص١٩٥، ط. ثالثة، سنة ١٩٨٩.

(٣) الأمعة هو الذي يلغي مساحة التفكير من عقله، ويتنازل عن عملية الإبداع الفكري، كما يتخلص من حريته، حتى يكون بوقاً لغيره، كأن عقله في أذنه، يردد ما يلقى إليه، ويستجيب فورا لما يؤمر به .

إنه قابع خلف توجهات الآخرين، وتوجيهاتهم، وكلما حاول الخروج، أو دفعه أحد عنها، إقترب منها مشدوداً إليها، أو متعلق بها، غيرقادر على التخلص من أسرها، إنه لا يرى حياته بدونها ، وإنما وجوده، وحيويته، في عبوديته لها، وتلك مشكلته التي لا يستطيع الفكاك منها .

يقول الأستاذ / المعلاوي: إن صاحب النزعة العقلية السلبية عاشق للثقافات الغير إسلامية، ولو أنه فقه التوجيه الرباني، {ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم}، لأيقن أن هذا التوجيه فيه صيانة لعقله من الخطأ، ولفكره من الضلال، ولذاته من الاستذلال[1].

فإذا أردنا أمثلة تطبيقية، وجدنا في المعاصرين الكثيرين، يقول طه حسين: إذا أردنا أن نلحق بركب الحضارة لا نتخلف عنه، فعلينا بالثقافة الغربية حتى نكون وإياها حذو النعل بالنعل، فهذا قدرنا وقدرهم[2]، ولا بد من إجراء الأقدار، فهذا شرقي يعيش عادة على الغربي، وذاك غربي لا بد أن يفكر ويجتهد ليقلده الشرقي، ولا قيمة للدين والثقافة الأصيلة، كما لا اهتمام بالمصادر التي تفصل كلا منهما عن الأخرى .

بل إنه ليؤكد تقديره الكامل، واحترامه الشديد للثقافة الغربية، حيث يصفها بالعمق، والأصالة، ويصف الثقافة الإسلامية الأصيلة التي تلقاها أثناء طلبه العلم بالأزهر الشريف بأنها سطحية، وعقيمة، وغير قادرة على التقاسم الحضاري، ومن ثم فهو يتندر بها، ولا يرى حرجاً من إعلانه عدم التمسك بها، وشتان بين وصفه الأولى بالعمق والإنتاج والإبداع، بينما يصف الثانية بالعقم والفساد [3].

بل لقد جاء كتابه " الأيام " معبراً عن ضيقه بالثقافة الإسلامية، وعدم تقديره لها بل والتماس الأعذار للهجوم المتواصل عليها من كافة النواحي، مع أنها هي التي

(١) الأستاذ/ حسن محمود المعلاوي: التداخل الثقافي في زمن العولمة، ص٧٧، مكتبة رشدي، سنة ١٩٩٨م.

(٢) الدكتور/ طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ص٢٧، ط. الرابعة.

(٣) راجع للأستاذ/ سامح كريم: طه حسين في معاركه الأدبية والسياسية، ص٢١٨، ٢١٩، ط. ثالثة.

صنعت منه عقلاً يفكر، كما يعلن تقديره للثقافة الغربية، وهي التي تحولت به من انسان هادىء، وديع، يتحمل عناء السفر ليحصل العلم النافع، إلى آخر إنتقامي يهاجم الآخرين، وعليهم يتجرأ، ويتكبر، وسارع متداخلو الثقافة إليه محافظة عليه [1] .

لقد أعجب أحمد أمين بالثقافة الغربية، فتحول من ناقد مبدع إلى آخر منتقم، ومن إنسان مثالي يبحث عن القيم العليا، إلى آخر يلهج في البحث عن كل ما هو أصيل ويعلن تخليه عنه، ويتمسك بكل ما هو دخيل، ويدافع عنه، كما يعلن ضرورة التخلي عن القديم بكل أبعاده، والسعي للوافد بجميع سوءاته، وقد جاءت كتاباته كاشفة عما يحيط به [2]، من ثقافة أدت به إلى الطعن في الصحابة الأجلاء .

لقد سمح أحمد أمين لنفسه بالطعن في أبي هريرة، كما اتهمه بعدم الأمانة في النقل عن الرسول ﷺ، حيث زعم أنه زاد في الحديث إلا كلب صيد أو ماشية، أو كلب زرع، وأن أبا هريرة هو الذي ازاد إلا كلب زرع، حيث كان لأبي هريرة زرع فجاءت الزيادة معبرة عما يجري داخل نفسه.

ويعتمد أحمد أمين على نقل لم يوثق، ونقد لم يعرف صاحبه، حيث قيل لابن عمر أن أبا هريرة يقول أو كلب زرع، فقال ابن عمر إن لأبي هريرة زرعاً، ويعلق أحمد أمين بأنه نقد من ابن عمر لطيف في الباعث النفسي [3] .

يقول الشيخ / المسير: وهكذا فهم الأستاذ من أبي هريرة هذا الفهم، والصق به أكثر من تهمة، وأشنع جريمة، وهي الكذب في شرع الله، ولعله لا يرضى لنفسه أن

(١) تحويل " الأيام " إلى عمل سينيمائي، او مسرحي، وما كان من هذا القبيل، قد أريد به الطعن على الكتاب والسنة، علماء الآمة، ومن يتابع قصة " الأيام " يرى أنها لا تحتاج دليلاً على أن الغاية عنده منعقدة في القضاء على الإسلام والمسلمين.

(٢) الأستاذ/ عبد الوهاب محمد خليل: المستشرقون والمستغربون، ص٨٧ ، ٨٨، مكتبة النجوم، سنة ١٩٩٧ م.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٢، ص١٣١

يكذب في حديث الناس، وشرعهم، ولا يرضى لزملائه وأصدقائه، ولكنه رضى لهذا الصحابي الجليل الذي نالته بركة دعائه ﷺ، وحظى بشرف صحبته، وملازمته، أن يتزيد في شرع الله، ويقول فيه بالباطل والبهتان[1]، وما ذلك إلا من أثار احترامهم الثقافات الواردة، وإعجابهم بها، وتقديرهم لها، وتمسكهم بها، وعدم الفحص عن صحتها من فسادها .

ويذكر محمود طه أن الثقافة الإسلامية كانت مرحلة إنتهى دورها في الربع الأول من القرن الأول الهجري على أكثر تقدير، وكان من الضروري الاتجاه إلى الثقافات الأخرى للأخذ منها، والتزود بها، لأنها ثقافات ذات جذور إبداعية، تخلت عن الثقافة العربية الجاهلية التي قامت فيها الدولة الإسلامية، وأن الشعور بالحاجة الى تلك الثقافة الإبداعية قد تنامى إلى الحد الذي لم يتمكن أصحاب التفكير العقلي من الإبتعاد عنه، فأحسنوا بذلك صنعاً [2].

وقد أدى به ذلك الإعجاب، وذاك التقدير للثقافة الغير إسلامية أن يعلن ضرورة التخلي عن السنة المحمدية، والسيرة النبوية، واعتبارها جميعاً من التراث الذي لم يقدم نفعاً [3]، أو على الأقل مما يجب عدم الإلتفات إليه، فيقول: أن النبي محمدا لم يعرف من القرآن إلا ظاهره، وأصحابه لم يكونوا سوى مجموعة من العرب الجاهليين الذين تنحصر ثقافتهم فيما أفضت به الحياة الصحراوية، وأقصى ما لديهم

(١) الدكتور/ سيد أحمد رمضان المسير: السنة المطهرة بين أصول الآئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاه، ص٢٠ ، ٢١، دار ألطباعة المحمدية بالقاهرة، سنة ١٤٠٢ هـ- ١٩٨١ م..

(٢) محمود محمد طه: الثورة الثقافية، ص٥٧، ط. ثانية، أم درمان، سنة ١٩٧٤ م..

(٣) محمود محمد طه، الجهول يعلن في غير حياء أن السنة الشريفة، والسيرة المباركة مما يجب التخلي عنه، وعدم الإلتفات إليه، لأنه تربى في أحضان الثقافات الأوربية، التي تتسم بالشعوبية، ويزعم القائمون عليها أن العرب والمسلمين ليس لهم حظ في الإبداع العلمي، وإنما هم مجرد نقلة لما ينتجه غيرهم. راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية، ص٧٨، حيث عرض هذه الشبه وناقشها.

مخاطبة النجوم، وقرض الشعر في الحروب، والغزل، فلما دخلوا الإسلام لم يغير منهم كثيراً[1].

بل إن هذا المارق من الإسلام يطالب بإلغاء كافة الاحكام الشرعية، بزعم أنها كانت وقتية، ويؤكد على أن أي حكم شرعي مصدره السنة الشريفة يجب مراجعته، ثم التخلي عنه، من ذلك إعلانه الحرب على الحجاب، ويؤكد أن ذلك من عادات الجاهلية، لأن الإنسان يولد عارياً، هكذا حكمت طبيعته، وهكذا رآه الناس أول مرة، والحجاب ما هو إلا تغطية لما أمرت به الطبيعة، ويجب التخلي عنه [2].

ثم يقول في خروج سافر على الإسلام كتاباً، ورسولاً، وسيرة: إن الأمة العربية التي تمسكت بالإسلام على طريقة النبي محمد، وقعت في التخلف والرجعية، وتحكم فيها الاستعمار، بينما الأمم الآخرى التي أخذت بنظام المدنية، وتركت المأثورات، حققت المعجزات العلمية، وأحدثت النقلات النوعية في الثقافة والإستقلال، ويؤكد على ضرورة وجود الرسالة المحمدية الجديدة، وزعيمها هو نفسه محمود طه[3]

أضف إلى ما سبق أن أصحاب النزعة العقلية السلبية يمارسون كل ألوان الخروج على الأصول العامة، والنصوص الاسلامية، كما يقفزون فوق القواعد الشريفة، وهم في ذات الوقت يفرقون بين الكتاب والسنة، ويعلنون تمسكهم بهذه التفرقة باسم البحث العلمي، وتحت شعار الموضوعية، وهم قد وقعوا في كل الأخطاء المنهجية، والبحثية، وخالفوا الأحكام العامة، كما مارسوا كافة ألوان الكذب والإبتداع، وأعلنوا خروجهم عن دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين .

(١) محمود محمد طه: الثورة الثقافية، ص٥٦، ط. أم درمان.

(٢) محمود محمد طه: الحجاب ليس فريضة، ص٥، ط. أم درمان، سنة ١٩٧٤ م..

(٣) راجع لمحمود محمد طه: الأضحية ليست واجبة، ص٧، ط. أم درمان، والثورة الثقافية، ص٦٧ ، ٦٨، والثورة الثانية في الإسلام، ص٢٨، وغيرها من الكتب التي تحمل أفكار جماعة الأخوان الجمهوريين في السودان، فكلها من هذا القبيل الهادم لكل شيء إسلامي.

وقد أنبأت السنة الشريفة ــ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ أن هؤلاء وأمثالهم كلما حاولوا النيل من الإسلام سقطوا، ومتى ظنوا أنهم تمكنوا منه خسروا، فعن أم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهورد [1].

والحق أن ما ذكره المستغربون ممن مر ذكرهم، ومن لم نذكر قد وقعوا في دائرة الكفر بالله، وآياته، والإلحاد فيها، وقد توعدهم الله تعالى بما جاء ذكره في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [2].

وما تسول لهم به أنفسهم في الحاضر، وذكره، وامثاله في الماضي، وهي كلها صور شاذة، وتنم عن عقلية حاقدة على الإسلام، والمسلمين، كما تعبر عن جهل فاضح بالنصوص الإسلامية، والجوانب الإستهدافية التي تحققت نتيجة التمسك بها، والتزام ما فيها، فإذا قال الله تعالى ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فإنتهوا ﴾ ، فما ذلك إلا لجملة المصالح المترتبة على أمرى الأخذ والنهي، وربنا الخالق هو العليم بما خلق، وما يصلح لذلك الخلق [3]، ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير .

كما أن التاريخ الإنساني العام ذكر أن العالم الأوربي عاش فترة القرون، أو العصور الوسطى، وقد امتدت ثمانية قرون، إبتداء من مطالع القرن الرابع الميلادي حتى الثاني عشر، لم يوجد فيها علم، ولم تعرف حضارة، بل كانت غاية الناس

(١) الإمام/ مسلم: صحيح مسلم، جـ ٣، ص١٣٤٣، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، حديث رقم ١٧١٨، وقال الألباني حديث صحيح.

(٢) سورة فصلت: الآيات ٤٠ ـ ٤٣.

(٣) راجع للشيخ/ محمد حسن الأنور: العقيدة الإسلامية، ص٧١، ٧٢، مطبعة رشدي، سنة ١٩٣٤ م..

انحصرت في البدائية التي يعبدون فيها الملوك، ويعيشون في ظلالهم [1] .

ويذكر المؤرخون أن الحضارات الصينية، والهندية وغيرها مما قام في ذات الوقت لا يخرج عن الصور المادية، والمظاهر الطبيعية التي يتردد بين جنباتها التقليد، والابتكار، والإستماع لا الإبداع، وهذا كله لا ينتج حضارة زاهية، بل ولا يقدم نفعاً يمكن الاحتكام إليه في البناء الحضاري[2].

في ذات الفترة التاريخية جاء الرحمة الإلهية سيدنا محمد ﷺ، حيث ولد في ٥٧١ م. في القرن السابع الميلادي من ذات العصور المظلمة، وظهرت الحضارة الإسلامية إبتداء من هذا التاريخ المبارك، وانتقلت إلى أوربا والعالم كله عن طريق الفتوحات الإسلامية [3] .

فإذا جاء القرن الثاني عشر الميلادي، وقد بدأت أوربا تستيقظ في سباتها العميق، وتنتبه بعد غفلتها الطويلة، وتأخذ بأسباب الحضارة الراقية، فمن أين لها ذلك إن لم يكن من الحضارة الإسلامية، يقول الدكتور / الغزالي: إن العقل الواعي أدرك هذه الحقيقة التي لا تقبل الجدل، إذ من المقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه، العالم كله قبل البعثة المباركة لم تكن له حضارة متكاملة، وظلت هذه الحقبة حتى القرن الثاني عشر، فمن أين جاءتهم الحضارة بعد ؟، هل نبت في رؤسهم الفارغة، أو نمت على أرضهم القاحلة، أم أنهم استعادوها من بلاد الإسلام طبقاً لما أنتجته العقليات المسلمة من طول تدبرها في الأصول الإسلامية الداعية للعلم، والأخذ بطاقة أسبابه [4] .

من ثم فإن الحضارة التي يعلنون عنها قامت اصولها على الحضارة الإسلامية

(١) الأستاذ/ سعيد أحمد صالح: الحضارة الإسلامية، ص٤٥ ، ٤٦، وراجع للدكتور/ على السيد زكريا: معالم الحضارة الإسلامية، ص٣٦، وللدكتور/ محمد الغزالي: تأملات غزالية في الفلسفة الحديثة، ص٧٣ـ٧٨.

(٢) الأستاذ/ سعيد أحمد صالح: الحضارة الإسلامية، ص٧١.

(٣) راجع للدكتور/ على السيد زكريا: معالم الحضارة الإسلامية، ص٤١ ، ٤٢.

(٤) الدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي: قضايا حثيثة في الفلسفة الحديثة، ص٦٨ ، ٦٩، ط. آل بسيوني الرابعة، سنة ٢٠٠١م.، وخواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة، ص٤٥، ط. آل مخزنجي الثالثة، سنة ١٩٩٧ م..

الأصلية القائمة في الكتاب الكريم والسنة الشريفة، بكل ما فيهما من دعوة للعلم، والأخذ بأسبابه، والإسراع المتوازن بوتيرته، والأخذ بكل ما هو مشروع يحقق المصالح البشرية، وقد اعترف بهذا المنصفون من المستشرقين وغيرهم .

يقول هيتر: أن الحضارة الأوربية، بل الحضارة الإنسانية مدينة كلها للحضارة الإسلامية التي أنشأها المسلمون الأوائل، امتثالاً لنصوص الدين الذي جاءهم خالصاً من عند الله تعالى، وبفضل الجهود التي بذلها هؤلاء الأفذاذ، حتى قامت الحضارة الإنسانية في أرقى صورها، ومظاهرها، والغرب مدين كله إلى دولة الإسلام، ونصوص دين الإسلام[1]، اما ما يطالب به المتحللون من أمثال محمد طه فقد عفى عليه الزمان، وصارت مسألة الحجاب هي العلاج لمشكلات السفور، كما أن شريعة الزواج هي الدواء الناجح للمشكلات عن العشيقات الخليلات وسائر المحرمات [2] .

لقد استراح المسلمون والعالم بإتباع شريعة الإسلام، والتمسك بالكتاب والسنة، حتى وإن لم يكونوا مسلمين، وشقى أبناء المسلمين والعالم عندما تخلوا عما جاء من عند الله رب العالمين، ومن يتابع صفحات التاريخ الإنساني العام يجد ذلك قائماً بين صفحاته، ولا ينبئك مثل خبير .

(١) أ. ك. جيمس هيتر: وثائق تاريخية، ص٤٩ ، ٥٠، ترجمة عادل شوقي، مراجعة الدكتور/ عايدة مصطفى.

(٢) راجع للأستاذ/ فوزي شلبي: زوجات لا عشيقات، ص١٨ ، ١٩، وللأستاذ/ عبد الله الطويل: زوجات لا خدنات، ص٤٩، نقلاً عن الحجاب فريضة إسلامية، ص٨١ للإستاذ/ زكريا خالد المحامي.

الفصل الثالث: المنهج والمظاهر

أولا: المنهج

يعتمد أصحاب النزعة العقلية السلبية منهجاً يقوم في أبعاد ثلاثة، كل واحدة منها يمكن أن يتلاقى مع غيره في عدائه الشديد لكل ما هو إسلامي خالص، بل كل ما جاء به الإسلام، أو يقوم به المسلمون، والأبعاد الثلاثة هي:

١ ــ التكذيب والإنكار

ويقوم هذا البعد على التكذيب لكل ما جاءت به السنة الشريفة، والإنكار لوجود فوائد مترتبة عليها، إذا فرض أنها موجودة، ومن هذا الجانب برزت لهم أقوال عديدة، منها ان جميع ما جاءت به السنة، إن وافق القرآن فلا حاجة للسنة، وإن خالف القرآن فما قيمة المخالف، وإن لم يوافق، ولا يخالف فهو عبث لسنا بحاجة إليه[1].

ومن ثم حاولوا التأكيد على هذا الجانب، بزعم أن الحاكم في المسألة العقل، وكل ما يخالف أحكام العقل يجب رده [2].

وقد غاب عنهم أن أحكام العقل ثلاثة: الواجب وهو الثابت الذي لا يقبل العدم أبداً، والمستحيل وهو الذي لا يقبل الوجود أبداً، والجائز وهو الذي يقبل الوجود والعدم، فإن قبل الوجود فهو موجود، وإن وقع في العدم فهو معدوم .

وعدمه كوجوده، ليس من ذاته، إنما من خالقه[3]، وهو الله سبحانه وتعالى، ويدخل فيه إرسال الرسل، وإنزال الملائكة، والكتب وإقامة الشرائع، فكلها من الناحية العقلية جائزة، وليست مستحيلة، وبناء عليه فما قالوا إن العقل يحكم ببطلانه قد بان فساده .

(١) راجع للأستاذة/ فاطمة محمد جاد: الحركات الباطنية، ص١٦٩، ط. أولى، ٢٠٠٧.

(٢) الأستاذ/ فوزي حسن أبو صالح: الحركات الهدامة في الإسلام، ص٨٥، ٨٦، ط. ثانية، ١٩٧٤ م..

(٣) راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى الغزالي: حبو الوليد في علم التوحيد، ص٨٥، الطبعة العاشرة.

بل إن احكام العقل الصحيح قضت بوجود ما فيه المصالح وترك المفاسد، بناء على قاعدة الفطرة الإنسانية وقوانينها العاملة في الأنماط البشرية، بدليل أن أي عقل يقبل على ما فيه المصلحة، ويهرب مما فيه المفسدة، وقد بينت أن الشرائع الإلهية جاءت لتحقيق المصلحة، وترك المفسدة، وهو معنى أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد في العاجل والآجل[1]، من ثم فإن تكذيبهم بوجود السنة، وإنكارهم لفوائدها قضى العقل السليم ببطلانه، وشهدت الوقائع الحياتية بضرورة الحاجة إليها، والقاعدة أنه لا عبرة بالمخالف الذي ينكر البدهيات، ويجادل في الضروريات .

٢ ـ <u>الاتهام والتجريح</u>

وهو يقوم على اتهام السنة الشريفة بأنها لا قيمة لها، ولا عمل تؤديه مادام القرآن يقوم بهذه المهام كلها، يقول محمود طه: إن السنة التي يتردد الحديث حولها يغني عنها القرآن، وبخاصة أنها تناقضه في كثير من أحكامه، وما ذلك إلا لأنها كانت تنقل عن أقوام فيهم عرب، وعجم، وفرس، وبربر، وهذا في حد ذاته كاف لإبعادها عن دائرة الاهتمام بها، فضلاً عن أن يكون لها عمل في حياة الناس، وهل تصح الصلاة بها بديلاً عن القرآن [2] .

ويزعمون أن القرآن كاف في بيان قضايا الدين، وأحكام الشريعة، ما ترك شيئاً، فإذا جاءت السنة لتكون بجوار القرآن فقد أكدت على أن القرآن فيه نقص، ولما لم يكن القرآن ناقصاً، فإن النقص يكون من نصيبها لا من حظه [3].

ويستشهد على هذا الفهم الخاطيء، والتكذيب الفاحش بظاهر بعض الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [4]، وبالتالي فكل شيء موجود في القرآن،

(١) راجع للشيخ/ إبراهيم الشاطبي: الاعتصام، جـ١، ص٤٠، والموافقات، جـ٢، ص٧.

(٢) محمود طه: تعلموا كيف تصلون، ص١٧، الخرطوم، ط. أم درمان.

(٣) محمود طه: الثورة الثانية في الإسلام، ص٧٨.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

فما فائدة السنة، حتى تكون بجواره .

وقوله تعالى ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1]، ثم يقولون ما دام القرآن الكريم أحكمت آياته، ثم فصلت، فصار كموجز الأنباء والتفصيل، فمال الداعي لشيء وراء ذلك، ثم إنتهوا إلى عدم الحاجة إلى السنة، بزعم أنها لا تقدم نفعاً [2].

كما يستشهدون بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [3]، وما دام القرآن قد أجمل كل شيء، ثم فصل كل شيء فإن الزعم بوجود السنة يكون أمراً غير مقبول، من حيث إنها لا تقدم جديداً، ولا تفيد في شيء، بل أنها كثيراً ما تأتي بأحكام إذا تم العمل بها بان أنها مناقضة للقرآن [4].

والحق أنها اتهامات تنال القائلين بها، والتجريح الذي قاموا به راجع إليهم وحدهم، ومن الشواهد على خروجهم عن دين الإسلام، وأكثر بعداً عن منهج الحق، والبحث العلمي الموضوعي، أما لماذا ؟

فلأن الفوائد المترتبة على السنة الشريفة لا تحصى، منهاعرفنا كيفية العبادة الصحيحة، والقيام بالأخلاق المستقيمة، إلى غير ذلك مما لو تم تناول رؤوسه لامتلأت المجلدات التي ما تمكن من حملها العصبة أولو القوة، والواقع شاهد لها، وأن

(١) سورة هود: الآيات ١ ـ ٤.

(٢) راجع للدكتور/ السيد حسن طه: الحركات الباطنية وموقف الإسلام منها، ص٣٥، ٣٦، ط. مكتب صبحي.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٤) راجع للدكتور/ السيد حسن طه: الحركات الباطنية وموقف الإسلام منها، ص٤٧.

جدلهم مردود عليهم، وقد شهد بجهلهم، وخروجهم عن دائرة الإيمان الصحيح .

٣ ــ الإسقاط والتخلية

وهو يقوم على ضرورة إسقاط السنة الشريفة كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وتخلية العقل الواعي من كل نصوصها، حتى ينهض الناس للبحث العلمي، والإنتاج المعرفي، بزعم أن وجود السنة الشريفة يعوق المسار البحثي، ويذكر البغدادي عن الخوارج أنهم أنكروا حجية الإجماع، والسنن الشرعية، وقالوا إنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن، ومن ثم أنكروا حكم الرجم، كما أنكروا المسح على الخفين، لأنهما ليسا في القرآن، وزعموا وجود قطع يد السارق في القليل والكثير، لأن الأمر بالقطع قد ورد في القرآن مطلقاً [١] .

يقول الدكتور / مزروعة: وقد نبتت نابتة سوء بين المسلمين في بلاد الهند، وذلك بنشأة ما سمى بطائفة " القرآنيون "، تلك الطائفة التي زعمت الاعتماد على القرآن وحده، وطرح السنة النبوية المطهرة، وأخذت تدعو إلى نحلتها بهمة، ونشاط تحت رعاية الاستعمار الإنجليزي، ثم انتقلت من الهند إلى باكستان، بعد التقسيم، تحت مسمى البرويزين [٢]، ومن ثم فهم يطالبون بإسقاط السنة الشريفة كلها، والتخلية عنها تماماً من طريق الحياة العامة، وهم في كل ما ذهبوا إليه قد كذبوا، كما كشفوا عن أوجه القصور المعرفي،.وتدني الوازع الديني، بجانب العجز عن فهم الأصول الإسلامية .

والحق ان منهج هؤلاء يعبر عن العبثية، كما يكشف طبيعة هؤلاء التبريرية، وقيامهم على التبعية لأعداء الشريعة الإلهية، أما لماذا، فلما يلي:

أ ــ أن هذا التكذيب قد انصب على ما هو ثابت بلسان الشرع، وهو السنة المطهرة، من ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

(١) العلامة/ عبد القاهر البغدادي: أصول الدين، ص١٩، وراجع الفرق بين الفرق، ص٩٨.

(٢) الدكتور/ محمود محمد مزروعة: شبهات القرآنيين حول السنة المطهرة، ص٤٣٢.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١]، وهي صريحة في الدلالة على السنة الشريفة من ناحية تصديقها، والاحتفاء بها، ثم العمل بكل ما جاءت به .

وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [٢]، وهي واضحة في أن كل طاعة لا بد من الرجوع فيها إلى المصادر الأصلية، وهي القرآن الكريم والسنة الشريفة، ثم يأتي بعدها أهل العلم من العلماء العاملين الذين يحمل عليهم لفظ أولى الأمر منكم، أما القضايا والأحكام فلا تختص بها سوى الكتاب الحكيم والسنة الشريفة دون سواها .

وقوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٣]، وكلها دالة على أن السنة الشريفة ثابتة الورود عن الله تعالى ورسوله، وأنه لا قيمة لأي من التكذيب والإنكار، أو غيرهما بشأنها .

يقول الشيخ / أبو شهبة: وما قضى به النبي يشمل القرآن والسنة الشريفة، وقد دلت الآية على أنه لا يكفي في قبول ما جاء به القرآن والسنة الإذعان الظاهري، بل لا بد من الإطمئنان والرضا القلبي [٤]، وهو الشأن الذي يجب أن يكون عليه الفرد المؤمن الواعي .

ب ــ أن السنة ثابتة بالنصوص القطعية، وحجيتها قائمة من كل ناحية، وفوائدها مشهورة متواترة، ومن ثم فلا قيمة للاتهام والتجريح، سواء للمتن أو السند الرواية أو الدراية، يقول الشوكاني: إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٤) الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص١٥ .

ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام [1].

وهذا مما يؤكد أن أصحاب النزعة العقلية السلبية يمثلون العناصر العدائية للسنة الشريفة للإسلام كله، وهم لا قيمة لهم، ولا وزن، بل هم سقط متاع تخلى عنه ذووه، وأمعة يقلدون من في الدين لا يفقهون، وقد اتبعوا شياطين، كما استناموا بين نزغات أهوائهم، قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [2]، وهم بمنهجهم هذا قد حكموا على أنفسهم بأنهم ضلوا عن سواء السبيل، ومثلهم لا حسبان لهم بين العقلاء المنصفين .

جـ — إن الإسقاط والتخلية يجب أن يعملا فيما لا سند صحيح لـه، ولا فائدة ترتجي من ورائه، ولا دعم من الواقع يشهد له، وذلك مما ينطبق على الأفكار التي يقولونها، والعبارات التي يرددونها، والمصطلحات التي يسعون لها، لأن ذلك من طبيعتها وسماتها، أما السنة الشريفة فهي ثابتة الأصل، متصلة السند، ذات فوائد عملية تشمل كافة أنماط الحياة من حيث إنها وحي من الله جل علاه .

ثانياً: مظاهر النزعة العقلية السلبية

مادام المظهر هو الذي يخرج ما بالداخل، ويجعله صورة واضحة للعيان، فإن كل مظهر إنما هو بمثابة إشارة واضحة، أو صورة ضوئية كاشفة، ومن ثم فإني أتناول أبرز تلك المظاهر من خلال ما يلي:

١ — الجرأة على الأصول الإسلامية

المتابع للحركة العقلية السلبية يرى هؤلاء قد بذلوا جهوداً غير مقبولة لإخراج النصوص الإسلامية من قدسيتها، فتارة يعملون على تأويل القرآن بما لا يتفق مع غاياته، وتارة يزعمون أن بعض سور القرآن قد حذف أو أضيف على ما يذهب إليه

(١) الإمام/ الشوكاني: إرشاد الفحول، ص٥٩ .

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

متطرفوا الشيعة [1]، من أن القرآن الذي بين يدي أهل السنة ليس هو الذي بأيدي أهل الشيعة، إلى غير ذلك من الانفلاتات التي قالوا بها، ففتحوا الباب أمام كل باغ، حتى يقول في القرآن الكريم دون حياء، أو تقدير .

حتى جاء البابيون، والبهائيون، والقاديانيون — ومن معهم — فأعلنوا نسخ النبوة الخاتمة، ونزول كتب جديدة غير القرآن، ووضعوا في هذه الخرافات، التي أطلقوا عليها اسم " الكتب " كل ما أرادوه [2]، وهم في جميع ما ذهبوا خالفوا الأصول السليمة، وقفزوا فوق كل ما هو مخالف للشريعة الإلهية .

كما فتحوا باب الطعن على السنة الشريفة، بزعم أن فيها نصوصاً لا تتفق مع العقل السليم، من ذلك ما نقله ابن قتيبة عنهم من قولهم رويتم أن النبي ﷺ قال لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ثم رويتم أنه ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله فهو في الجنة، وإن زنى، وإن سرق، وفي هذا تناقض، واختلاف [3].

ويذكر ابن قتيبة في الرد عليهم أن الإيمان في اللغة مطلق التصديق، وهو ظاهر ثم إن الموصوفين بالإيمان ثلاثة:

الأول: رجل صدق بلسانه دون قلبه، كالمنافقين، فيكون قد آمن، قال تعالى ﴿ذَلِكَ

(١) راجع للدكتور/ محمد السماوي: لا أكون مع الصادقين، ص٨٥، ط. ثانية، سنة ١٩٨١ م..

(٢) زعم الباب أنه أنزل عليه كتاب الإيقان، وأن نبي الوحي الذي كان يأتيه هو الطاق، وزعم أنه نسخ الصلاة، وكافة التكاليف في الإسلام - راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى الغزالي: تأملات غزالية في النحل الشيطانية، ص٧٥-٧٨، وراجع للأستاذ/ أحمد عوف: خفايا الطائفة البهائية، ص٩٨.

(٣) نظراً لأن هؤلاء لديهم تسطح معرفي، فإن كل ما يتصورونه تناقضاً واختلافاً، مرده إلى الأوهام التي يعيشون فيها، والاضطرابات الفكرية التي يعتقدون صحتها، ولا يفكرون في مراجعتها، أو فحصها، أو الاستيثاق منها، فالمشكلة واقعة في داخلهم، ولا يمكن حسبانها على النصوص الإسلامية - راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى الغزالي: أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة، ص١٧٤ ، ١٧٥.

بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ [1]،فإيمانهم ليس عن عقد ونية وإنما جرى به اللسان، ولم يقبض على ناصيته القلب والجنان .

الثاني: رجل صدق بلسانه وقلبه، مع تدنس بالذنوب، وتقصير في الطاعات، من غير إصرار، فنقول قد آمن وهو مؤمن ماتناهىّ عن الكبائر، فإذا لابسها لم يكن في حال الملابسة مؤمناً، مستكمل الإيمان، ألا ترى أنه ﷺ قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، يريد في وقته فهو قبل الزنى مؤمن، وبعده غير مصر عليه فهو مؤمن تائب [2]، والله سبحانه وتعالى يفرح بالتائبين .

الثالث: رجل صدق بلسانه وقلبه، وأدى الفرائض، واجتنب الكبائر، فهو المؤمن الكامل، أو مسكتمل شرائط الإيمان، وقد قال ﷺ لم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، يريد ليس بمستكمل الإيمان، وقال لم يؤمن من لم يأمن المسلمون من لسانه ويده أي مستكمل الإيمان [3] .

كما أن قوله ﷺ من قال لا إله إلا الله فهو في الجنة، وإن زنى، وإن سرق، فإما أن يكون المراد عاقبة أمره إلى الجنة، وإن عذب بالزنا أو السرقة، أو أن تلحقه رحمة الله تعالى، وشفاعة رسوله ﷺ، فيصير إلى الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله، وعن الحسن قال لا إله إلا الله ثمن الجنة .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،

(١) سورة المنافقون: الآية ٣.

(٢) الإيمان المنفي هنا هو الواقع في حال الفعل، من حيث إنه لم يكن لديه إصرار عليه، قبل ذلك فسلب الإيمان والتلبس به مرده إلى التخلي عن الفعل أو التلبس به، ويكون الأمر متعلقاً بحال الملابسة للفعل المحرم، لا أنه مسلوب عنه في كل حال، بدليل أنه متى تاب ألبسه كما كان قبل الفعل، والتوبة النصوح تجب ما قبلها، كما أن الإسلام يجب ما قبله.

(٣) راجع لابن فتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص١١٦، وقد نقل في المسألة أقوالاً كثيرة، منها قول عمر لا إيمان لمن لم يحج، يريد لا كمال إيمان، والعقلاء يقولون فلان لا عقل له يريدون أنه ليس مستكمل العقل، ولا دين له، يريدون أنه ليس مستكمل الدين.

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن[1]، وزاد مسلم في رواية له، وأبو داود، ولكن التوبة معروضة بعد [2].

وبهذا يتبين أنه لا تناقض بين الحديثين، بل كل منهما يتكامل مع الآخر، لأن شرط التناقض أن يقع النفي والإثبات على الشيء الواحد من الجهة الواحدة، كأن يقول العلم ليس العلم، أو العقل ليس العقل، مع مراعاة احكام العقل والعلم في كل من الحالتين .

أما أن يذكر حديثاً ثم يأتي بحديث آخر على خلاف الأول فإنه لا يكون تناقضاً، بل تكاملاً، مادام الحديث صحيحاً، وهو فرق مهم بين التناقض والتكامل [3]، فمن ثم بان أن هؤلاء وقعوا بجرأتهم في الأحاديث النبوية، وكان عليهم التريث، وعدم التعجل .

ثم إن جرأتهم على المصادر الإسلامية جعلت كافة النصوص الإسلامية واقعة تحت هذا التوجه، وليس هناك نص يمكن إعتباره بعيداً عن مرمى حجارتهم، وكلها قاسية، حتى قالوا أن السنة النبوية ليست وحياً من قبل الله تعالى على رسوله، وإنما هي إجتهاد شخصي، وتصرف إرادي أراد به الرسول ﷺ إثبات شيء لذاته، وهو في ذات الوقت يخطيء ويصيب، ومن ثم فالسنة الشريفة عندهم ليست وحياً [4].

وقد تجاهل هؤلاء أخبار الله تعالى بأن السنة الشريفة الصحيحة وحي إلهي، دل

(١) الحديث متفق عليه، وأخرجه الشيخان.

(٢) وفي رواية للإمام/ التساني فإذا فعل ذلك فقد خلع دين الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه ـ العلامة الشيخ/ محمد منير الدمشقي: النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، ص، ١٩٧، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٣) راجع للدكتور/ محمد حسيني موسى الغزالي: الدرة النيرة في الدفاع عن السنة المطهرة، ص٩٤ ، ٩٥.

(٤) الشيخ/ عبد العظيم حسن على: شبهات منكري السنة، ص٤٥، وراجع للدكتور/ محمود مزروعة: شبهات القرآنيين حول السنة، ص٤٦٢.

عليه قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

كما غفلوا عن قاعدة عامة، وهي تضافر الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على أن السنة وحي إلهي، وأنها تلي القرآن الكريم في المرتبة، وقد تستقل بحكم شرعي دون أن يكون له أصل في القرآن الكريم، وبناء عليه تكون جرأتهم على النصوص الإسلامية من علامات الانفلات الأخلاقي، بل والعلمي، والأدبي، فضلاً عن الإكراهي والإختياري المجرد .

لست أشك برهة في أن الجرأة على النصوص الإسلامية لم تكن وليد عصر بذاته، ولا جماعة بأعيانها، وإنما هي وليدة الحاجة إلى زعيم قائد يخوض بهم وكر الفساد، ثم يجبر الناس على ما يريد، بعد أن يدنيهم إليه من باب خداعهم، والرغبة في النيل منهم [3]، ويصرف عنهم ما يمكن أن يلحق بهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٣ ــ ممارسة الوضع في السنة

خصوم الإسلام، كلما أعياهم الطريق في النيل منه، بحثوا عن آخر، ثم جدوا في طلبه حتى إذا ظنوه يحمي ظهروهم، ويحقق أمانيهم، سارعوا إلى إستخدامه، والتعامل به، وليس لديهم مانع من أن يكون الطريق مستحيلاً في ذاته، ولكن عند التوظيف له يتحصل لهم الاقتناع به، والاعتماد عليه، ومن هنا كان من مظاهرهم الوضع في السنة الشريفة [4].

(١) سورة النجم: الآيات ٢ ـ ٤.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) يقوم بهذا العمل غير المشروع الذين ينصبون أنفسهم قادة فوق رؤوس غيرهم، فيقودونهم إلى المهالك.

(٤) راجع للدكتور/ حسن صبري الجميل: موقف أعداء الإسلام من السنة، ص٣٣، ط. أولى، مكتبة الرشيد، سنة ١٩٨١ م..

بيد أنهم في كل ما وضعوه ركزوا على الجوانب التي تتعلق بالله سبحانه وتعالى، بحيث تكون موضوعاتهم مما يوقع الناس في دينهم، وبخاصة العوام، ومن ليسوا من أهل الاختصاص، فهو إما أن يؤمن بها،، ويعتقد صدقها، فيقع في الإلحاد، وإما أن يرفضها وهو لا يعلم طريقاً لها سوى العقل، فيقع في التكذيب .

ومن وضعهم في السنة من ذلك ما روي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: رأيت ربي في صورة شاب أمرد، عليه حلة حمراء، ومن علامات وضعه ما يتعلق بذكر المجاهيل فيه من ناحية السند، وما يخالف الأصول الصحيحة من ناحية المتن، يدل عليه قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [1]، كما ان المجسمة من اليهود الذين يقولون بأن إلههم في السماء على هيئة شاب أمرد جعد قطط، ومن ثم فالعلامة بينهما قائمة [2]، والحديث موضوع بشواهده .

ومنها ما روي عن عبد الله بن عمر أنه أرسل إلى ابن عباس يسأله هل كان رسول الله ﷺ رأي ربه ، فأرسل إليه عبد الله بن عباس فقال نعم، قدر رآه في صورته على كرسي من ذهب، محتجب بفراش من ذهب، في صورة شاب رجل[3].

ومنها ما نقل عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه في صورة شاب موفور، رجلاه تصير على نعلين من ذهب، أعلى وجهه فراش من ذهب [4] .

(١) سورة الشوري: الآية ١١.

(٢) راجع لعضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام ـ الموقف الخامس ـ في الإلهيات، ص٢٥، تحقيق الدكتور/ أحمد مهدي.

(٣) الدكتور/ حسن صبري الجميل: موقف أعداء الإسلام من السنة، ص٤١.

(٤) والحديث موضوع فيه نعيم بن حماد، قال ابن عدي كان يضع الحديث وفيه مجهولون ذكر البخاري أحدهما في الضعفاء، وقال البيهقي روى من أوجه كلها ضعيفة، وذكره ابن الجوزي ونبه عليه في الواهيات.

ومن ذلك ما روي عن سالم بن أبي زياد قال: خرجت من مسجد رسول الله ﷺ، ورأيت عكرمة مولي ابن عباس، فقال لا تبرح حتى أشهد على هذا الرجل، فإذا الرجل معاذ بن عفراء، قال أخبرني ما أخبرك أبوك عن رسول الله ﷺ، قال حدثني أبي أن رسول الله ﷺ حدثه أنه رأي رب العالمين في حصو بين الفروس إلى نصف ساقيه، في صورة شاب مكتمل البصر.

ومنها ما روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: دون الله سبعون الف حجاب من نور، لايسمع أحد حس شيء من تلك الحجب إلا زهقت نفسه [1] .

ومنها ما روي عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت إن الله ديكا يجاوز رأسه كذا، والسبعين الحجاب، ورجلاه قد جاوزت حجاب السبع الأر ضين [2]، وكلها من الموضوعات، والسؤال الآن من الذي وضعها ؟ والجواب أنهم أعداء الإسلام الذين لا يريدون له البقاء [3].

ومتى تمكنوا من دس الموضوعات، وظهرت عنها ألوان الإخفاقات، سارعوا إلى تنشيط الذاكرة، والعودة مرة أخرى إلى المطالبة بنشر الدعوة الخبيثة، وهي الاستغناء عن السنة، والاكتفاء بالقرآن، مع أن الرسول ﷺ يقول فيما رواه العرباض بن سارية مرفوعاً: عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ [4].

(١) الإمام/ الحافظ أبو بكر بن فورك: مشكل الحديث وبيانه، ص٢٢١.

(٢) قال أهل الحديث هو موضوع، وفي إسناده موسى بن عبيده ليس بشيء، وحبيب بن أبي حبيب وضاع، وعمر بن الحكم بن ثوبان ذاهب الحديث.

(٣) ونبه إلى الموضوعات العديدة من العلماء في الكثير من المؤلفات ـ راجع على سبيل المثال الموضوعات لأبن الجوزي، واللاليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث المرفوعة لأبن عراق.

(٤) رواه أبو داود الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وما رواه الحاكم عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع، فقال إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم، فأحذروا أني تركت ما إن أعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله، وسنة رسوله .

ومن الموضوعات ما جعلوه مقياساً لما ورد في السنة، حتى يضيعوها، وهو إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فخذوه، وما خالفه فاتركوه، يقول الدكتور / أبو شهبة: بين أئمة الحديث وصيارفته أنه موضوع مختلق على النبي ﷺ، وضعه الزنادقة كي يصلوا إلى غرضهم الدنيء، من إهمال الأحاديث .

وقد عارض هذا الحديث بعض الأئمة، فقالوا عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له، لأنا وجدنا في كتاب الله قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2]، وقوله تعالى ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [3]، وهكذا نرى أن القرآن الكريم يكذب هذا الحديث، ويرده [4].

ثم إن أصحاب النزعة العقلية السلبية ــ قديماً وحديثاً ــ يمثلون العناصر المباغتة التي تسعى للنيل من السنة المباركة على أية ناحية كانت، ولا مانع لديهم من استعمال كافة الوان الخداع، وأنواع التدليس، وصور الكذب .

ومن موضوعاتهم ما نقل عن أنس قال دخلت الحمام فرأيت رسول الله ﷺ جالساً، وعليه مئزر، وقد حكم بوضعه ابن الجوزي، وقال في سنده مجهولون، ولم يدخل

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٤) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص١٨، وراجع للإمام/ الشوكاني: إرشاد الفحول، ص٢٩.

رسول الله ﷺ حماماً قط، ولا كان عنده حمام، يقول أبو شهبة: ولا كانت الحمامات العامة موجودة عند العرب آنذاك، ومما وضعوه لا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة[1]، وكيف يكون صحيحاً، وكثير من الآئمة السادة قد ولدوا بعد المائة [2] .

كذلك وضعوا حديث الهريسة، وأنها تشد الظهر، وتقوي الباءة، وقد نقده العلماء، وقالوا إن محمد بن الحجاج اللخمي هو الذي وضعه، لأنه كان صاحب هريسة، ويريد أن يروج لبضاعته، وهذا مما قد فتح أصحاب النزعة العقلية السلبية للوضع في السنة الشريفة، بعد أن جرؤ الناس عليها، وهم واقعون في الإثم .

عن المنذر بن جرير عن أبيه عن النبي ﷺ قال من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غيرأن ينتقص من أوزارهم من شيء [3]، وهم في كل سنة سيئة وقعوا، ومع كل عمل غيرمشروع ذهبوا، ولكل كلام ساقط على السنة وضعوا، ولكن كل أفعالهم ترتد عليهم، وجميع خطاياهم تفضح نواياهم، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ ــ امتهان الحرمات

صاحب النزعة العقلية الإيجابية يراقب الله تعالى، ويحاول دائماً أن يكون في مقام

(١) الله تعالى هو الغني المستغني، وهو مالك الملك، وصاحب الملكوت، وبالتالي فليس له حاجة في أي من خلقه، وما وضعوه يحمل شهادة وضعه معه.

(٢) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص٢٨٧.

(٣) الإمام/ ابن ماجة: سنن ابن ماجة، جـ ١، ص٧٤، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من سن سنة حسنة أو سنة سيئة، حديث رقم ٢١٣، ط. دار الفكر العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وقال الشيخ الألباني حديث صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه، جـ ٥، ص٤٣، كتاب العلم، باب فيمن دعا إلى هدى فأتبع أو ضلالة، حديث رقم ٢٦٧٥، والبيهقي في السنن، جـ ٤، ص١٧٥، حديث رقم ٧٥٣٠، والإمام/ أحمد في مسنده، جـ ٤، ص٣٥٧، حديث رقم ١٩١٧٩.

الإحسان، (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، ومن ثم فهم يتعاملون مع الجميع بكل ما أمر الله جل جلاله، فلا غيبة تنال، ولا عورة يعملون على كشفها، ولا حرمة يحاولون فض أغلاقها،وهم دائماً يقولون صدور الأحرار قبور الإسرار[1].

ثم إنهم يراعون جوانب الحرمات كلها يستوي في ذلك الجسم وغيره، الحي والميت، من باب أن كشفها، أو التسور عليها مما يؤذيه إن كان حياً، وينال منه إن كان ميتاً، والله سبحانه وتعالى حذر من الغيبة والنميمة، والأمراض القلبية وغيرها، وهم على هذا التحذير يقومون يرقبون قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] .

غيرأن أصحاب النزعة العقلية السلبية من مظاهرهم التي تكشف أمرهم رغبتهم الدفينة في امتهان الحرمات، ونبش القبور، والتسور على كافة الأسرار، بل والعمل على هتك جميع الأستار، وهم يمارسون ذلك بوجوه كالحة، ونفوس امتلأت بالغل والحسد، وأكثر ما وقع منهم كان على الصحابة الأخيار، والتابعين الذين أسلموا أمورهم لله الواحد القهار، وسوف أتناول بعض الأمثلة من خلال ما يلي:

أ ــ سعي أصحاب النزعة العقلية السلبية إلى إنتهاك حرمة الحبيب المصطفى ﷺ

وزعموا أنه قال أهديت للعزي شاة عفراء، وأنا على دين قومي [3]، وهو بلا شك حديث موضوع بإجماع أهل العلم، لأن حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها أمثل حياة عرفتها الدنيا ــ عقيدة، وشريعة، وعلماً وعملاً ــ كما قامت الأدلة العقلية والنقلية على بطلان هذا الزعم الكذوب [4] .

(١) راجع للأستاذ على بك الخردلي: حكم وأمثال عربية، باب الصاد، ص١٤٥، ط. ثالثة، سنة ١٣٣٥هـ.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) هشام ابن الكلبي: الأصنام، ص١٩.

(٤) راجع لدير منجم: حياة محمد، ص٢٠، ترجمة عادل زعيتر، وهو الذي تبني هذه الأفكار، وتولى كبره، وجاء من بعده ليرددوا هذه المقالات الكذوب، والله لا يحب الظالمين.

كذلك زعم هؤلاء أن رواة المسلمين ذكروا أن الرسول ﷺ سمى أولاده بأسماء الأصنام عبد العزي، وعبد مناف، والقاسم، والحق أنه حديث موضوع بإجماع أهل العلم بالحديث، ولم تقع لأولاد النبي محمد ﷺ التسمية إلا بالقاسم، وكان ﷺ يكنى به فيقال أبو القاسم، ثم عبد الله، وإبراهيم، والطيب، أما البنات فهن السيدة زينب، والسيدة رقية، والسيدة أم كلثوم، ثم السيدة فاطمة الزهراء [1] ..

وقال الإمام النسائي الذي روى في تسمية أولاد الرسول ﷺ بعبد العزي، وعبد مناف، محال أن يصدر ذلك من رسول الله، ثم قال وقد رواه الهيثم عن هشام بن عروة عن أبيه، وهذا من افتراء الهيثم على هشام [2] .

من ثم يمكن القول بأن من مظاهر أصحاب النزعة العقلية غير السوية، التجريح بغض النظر عن صاحب المقام المحمود، الذي رفع الله تعالى قدره في الخلائق أجمعين، وجعله رحمة للعالمين .

ب ــ اتهام الصديق ﷺ

ذكر أبو رية أن مما يلفت النظر حقاً أن نجد مثل أبي بكر على ما أوتي من قوة الحفظ، ورجاحة العقل، ومتانة الدين، ينصرف عن حفظ أحاديث رسول الله ﷺ، وما حفظ منها لا يرويه، وما جمعه يعود فيحرقه [3]، وهو اتهام، وتجريح، وامتهان لحرمات الصديق ﷺ، إذ لم يقل أحد من العلماء، أو الباحثين أن الصديق ﷺ إنصرف عن حفظ أحاديث رسول الله ﷺ، بل أنه حفظ الكثير من الأحاديث، والواقع يشهد بذلك، أما لماذا ؟

ــ فلأن الصديق ﷺ كان يحب الرسول ﷺ،أكثر من حبه لنفسه، بل كان أعز عليه من سمعه وبصره [4]، ومن كان ذلك شأنه فلا بد أنه سمع منه، وحفظ عنه،

(١) راجع للدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة: بعض الشبه الواردة على السنة، ص٣٤٣، ٣٤٤.
(٢) راجع للحافظ ابن حجر: لسان الميزان، جـ٦، ص٢٠٩ـ١٦.
(٣) محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص٢٠٣، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٨ م..
(٤) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص١٩٨.

وقام به خير قيام، كيف لا وهو أول رجل في الإسلام، وهو الذي أنزل الله فيه قرآناً يتلى حتى يقوم الناس لرب العالمين، منها قوله تعالى ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

ــ كما أن الصديق ﷺ لم يفارق رسول الله ﷺ في حله وسفره وغزواته، بل كان السابق في كل منها، ومن كان ذلك شأنه فإن حفظه الحديث الشريف سيكون قاعدة عامة ثابتة، وهو الذي قام به الصديق ﷺ[2]، وظهر منه أثناء خلافته،وبالتالي فاتهامه بأنه كان منصرفاً عن حفظ الحديث الشريف في غير محله .

ــ إن هناك فرقاً بين اتهام الصديق بالإنصراف عن حفظ الحديث، وعن رواية الحديث [3]، أما وقد بان أنه ﷺ قد حفظ الكثير من الحديث فقد بقيت المسألة الثانية، وهي روايته، وقد رويت للصديق أحاديث كثيرة بعضها في الصحاح، وبعضها في غيره [4]، ومن ثم فالاتهام في غيرمحله، لأن الصديق ﷺ له في الصحاح أحاديث مروية .

إن صاحب النزعة العقلية السلبية يعترف بأن الحاكم ذكر أن الصديق ﷺ جمع خمسمائة حديث، وفيه اعتراف منه بأن الصديق كان يدون الحديث، ويكتبه، وإلا فكيف جمعها وعدها، ويمثل ما نقله عن الحاكم الجزء الذي تم تدوينه، لا الذي حفظه، والاتهام موجه إلى الإنصراف عن الحفظ لا عن التدوين، فثبت أنه في غير محله، ولا موضع له .

ــ إن الزعم بقيام الصديق ﷺ بحرق الأحاديث التي جمعها نقلاً عن الحاكم وهو

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.
(٢) راجع للشيخ/ حسن سالم طلبة: الصحابة ورواية السنة، ص٤٥، ٤٦، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٣٤ هـ.
(٣) صاحب النزعة العقلية الفاسدة لا يفرق بين الأمرين، حتى يكون لما يقول سنداً.
(٤) الشيخ/ حسن سالم طلبة: الصحابة ورواية الحديث، ص٤٨.

معروف في بعض رواياته بالتساهل من ناحية التصحيح، فليس معتمداً، أو دليلاً على الوقوف عليه، واتهام، أو تجريح الصديق به [1]، اللهم إلاأن يكون المراد هو النيل المباشر من الشخصيات الأولى في الإسلام، وهو عمل الكثيرين من المستشرقين والمستغربين الذين يفتقدون الموضوعية، ويعملون بطرق مختلفة للقضاء على دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين[2]، ومن ثم بانت نواياهم، وانفضحت سرائرهم.

ـ على فرض أن الصديق ﷺ أحرق هذه الخمسمائة، فليست هي كل ما حفظ، بل وليست هي جميع ما روى[3]، يقول الدكتور/ أبو شهبة: وعلى فرض صحته، فإحراقه لما جمع كان مبالغاً منه في التحري، والتثبت، وزيادة في الورع، والتحوط، لجواز الغلط، والنسيان على الراوي العدل الثقة، وليس ذلك للشك في الصحابة، واتهامهم كما يريد المؤلف أن يصل إليه [4].

ولا يخفى أن أبا رية يريد إيصال رسالة مفادها أن الصديق مع من هو، لم يحفظ ويدون من الحديث إلا النذر اليسير، فما بال أبي هريرة ﷺ، يذكرعنه هذه الأعداد الكبيرة من السنة، وبذا يطعن على كل منهما، الصديق بالإنصراف، وأبو هريرة بالكذب، وهما معاً براء، لأنهم من صحابة رسول الله ﷺالذين زكاهم رب العالمين.

جـ ـ <u>اتهام تميم الداري</u>

إن صاحب النزعة العقلية السلبية فاقد لضوابط الفكر السليم، وبالتالي يريد إصابة الآخرين وإعابتهم، على آية ناحية لا يبالي، المهم أن ينال منهم، وبخاصة إذا كانوا

(١) راجع للشيخ/ عبد اللطيف السيد الدكر: السنة وشبهات المستشرقين، ص٥٨، ٥٩.

(٢) راجع للدكتور/ على السيد النمر: المستشرقون والسنة، ص١٨٥، ط. مكتبة السعادة، ١٩٨٧م..

(٣) ذكر الإمام/ الذهبي أن هذا الأثر بالحرق الذي نسب إلى الصديق لم يصح، وراجع: تذكرة الحفاظ، ١/ ٥.

(٤) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص١٩٩.

من صحابة رسول الله ﷺ، ومن رواة الحديث الشريف، بغية النيل من المصادر الإسلامية التي نقلت عنهم، أو كانوا طريقاً لمعرفتنا بها.

ذكر أبو رية أنه إذا كانت الإسرائيليات قد لوثت الدين الإسلامي بمفترياتها، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين، وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هو تميم بن أوس الداري[1]، وهو اتهام للرجل، وتجريح للصحابي، من باب امتهان حرماته، وخلط الأوراق، حتى لا يأخذ الناس مروياته عن رسول الله ﷺ مأخذ القبول، وهو تصرف أحمق، ويدل على عقلية سوداء، امتلأت بالحقد على الصحابة الأجلاء، أما لماذا ؟ فلما يلي:

أ ـ إن تميم بن أوس الداري كان مسيحياً، ثم أسلم، والإسلام يجب ما قبله، وبالتالي فليس من الصواب أن يظل التعريف به راجعاً إلى ما كان عليه قبل الإسلام، اللهم إلا أن يراد به التجريح، والسعي للنيل منه، عند من يقرأ له، وهذا يخالف الحقيقة، وليس من المنهج العلمي الذي يدعيه هؤلاء المستغربون، ومن على شاكلتهم[2].

ب ـ أن أبا رقية [3]، تميم الداري ﷺ أسلم سنة تسع من الهجرة، وكان من مشاهير الصحابة، وأفاضلهم، وغزا مع رسول الله ﷺ، وكان صاحب دين، ومقام، وقراءة بالليل حتى أنه اشترى حلة لهذا الغرض، وكان لما قدم المدينة مسلماً، صحب معه قناديل، وحبالاً، وزيتاً، وعلق تلك القناديل بسواري المسجد، وأوقدت، فقال

(١) راجع لمحمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١٤٠، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٨ م..

(٢) المنهج العلمي لا يخالف الحقائق الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإلهية، ومنها أن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة النصوح تجب ما قبلها ـ راجع للشيخ/ المتولي حسن الشامي: الإسلام دين الفطرة، ص١٥، ١٦، وراجع للأستاذ/ السيد النجولي: ألتوبة النصوح، ص٧.

(٣) كني تميم الداري بأبي رقية، وهي أبنته، لأنه لم يولد له غيرها ـ الإمام/ النووي: الآربعين النووية، الحديث السابع.

رسول الله ﷺ : (نورت مسجدنا، نور الله عليك في الدنيا والآخرة)[1]، ومادام الرسول ﷺ قد دعا لأبي رقية بأن ينور الله عليه في الدنيا والآخرة، أفلا يكون ذلك عماد الأدلة على أن كلام المستغربين في الرجل لا قيمة له .

جـ – أن تميم الداري مشهور في الصحابة، بل من مشاهيرهم، وأنه كان نصرانياً، وقدم المدينة فأسلم، بعد أن كان راهب أهل عصره، وعابد فلسطين، وكان كثير التهجد بالليل، ومن مناقبه أنه قام الليل بآية حتى الصبح، وهى قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [2]، أفلا يدل ذلك على أن الرجل مسلم، وأن الغمز له، ومحاولة النيل منه إنما هي طريقة لا تدل على سلوك علمي، بل هى عنوان على العبث واللا معقول[3].

ز – إن اتهام أبي رقية بالمسيحية بعد إسلامه فيه قلب للحقائق، أريد به الطعن في رواياته، واتهامه بالكذب فيها، بحيث تسقط من الاستدلال بها، والاحتجاج، وهو تصرف يدل على حماقة القائم به، وانعدام الأصول البحثية، بجانب التدني الخلقي، لأن تميم الداري لم يكذب في مروياته عن النبي ﷺ، بل أن الرجل اشتهر بين كبار الصحابة بأنه خير أهل المدينة .

أخرج البغدادي من طريق الجريري عن أبي العلاء معاوية بن حرمل قال قدمت على عمر ﷺ، فقلت: يا أمير المؤمنين تائب من قبل أن تقدر عليه، فقال ﷺ: من أنت، قلت: معاوية بن حرمل ختن مسيلمة، قال ﷺ: أذهب فأنزل على خير أهل المدينة، قال: فنزلت على تميم الداري، فبينما نحن نتحدث إذ خرجت نار بالجرة، فجاء عمر إلى تميم، فقال يا تميم أخرج، فقال: وما أنا وما تخشى أن يبلغ من أمري، فصغرّ نفسه، ثم قام فحاشها، حتى أدخلها الباب الذي خرجت منه، ثم اقتحم في أثرها

(١) الشيخ/ محمد عبد الله الجرداني: الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية، ص٦٤، ط. صبيح.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢١.

(٣) راجع لأبن حجر: الأصابة، جـ١، ص١٨٣.

ثم خرج فلم تضره[1]، فهل كان من ذلك شأنه يقع له شيء من التجريح، أو الاتهام، والخروج على القواعد العامة .

يقول الدكتور / أبو شهبة: وعمر ﷺ، وهو العبقري الملهم المحدث، ما كان ليخفى عليه حال تميم، ومنزلته من الصلاح، والاستقامة، والإخلاص، وهو القائل: لست بخب، الخب لا يخدعني، فكيف يجوز في العقول أن يرمى مثل هذا بالكذب، والدس، والإفساد في الدين [2].

قال ابن الجوزي: تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الداري ﷺ، وفد على رسول الله ﷺ في جماعة من الداريين منصرفه من تبوك، فأسلم، واستأذن عمر ﷺ في القصص، فكان يقص، وعن حماد: أن تميم الداري اشترى حلة بألف، فكان يقوم فيها الليل إلى صلاته، قالوا لحماد بن زيد أبألف درهم؟ فقال نعم، وعن نايف أن تميما الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي ترجي فيها ليلة القدر .

وذكر محمد بن سيرين أن تميما كان يقرأ القرآن في ركعة، وعن أبي قلابة أنه كان يختم القرآن في سبع ليال، وعن يزيد بن عبد الله قال رجل لتميم الداري ما صلاتك بالليل، فغضب غضباً شديداً، ثم قال والله الركعة أصليها في جوف الليل في سر أحب إليّ من أن أصلي الليل كله، ثم أقصه على الناس، فغضب الرجل، فقال الله أعلم بكم يا أصحاب رسول الله ﷺ إن سألناكم عنفتمونا، وإن لم نسألكم حفيتمونا، فأقبل عليه تميم، ثم قال أرأيتك لو كنت مؤمناً قوياً، وأنا مؤمن ضعيف، سأعطيك أنا ما أعطاك الله، ولكن خذ من دينك لنفسك، ومن نفسك لدينك، حتى تستقيم على عبادة تطيقها[3].

(١) الإمام/ ابن حجر: الأصابة، جـ٣، ص٤٩٧.

(٢) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص٩٥.

(٣) راجع لأبن الجوزي: صفة الصفوة، جـ١، ص٣٠٧، ٣٠٨.

وبهذا تبين أن الطاعنين على تميم الداري يخرجون عن الحق، والعلم إلى ما هو بعيد عن هذا وذاك، ونؤكد أنهم ظلموا أنفسهم، وأعلنوا عن كونهم من ذوي النزعة العقلية السلبية التي لا ترى الحق المشروع، ولا تبحث عنه .

د ـ تجريح أهل الكتاب

مسلمة أهل الكتاب مصطلح يطلق على أولئك الأخيار في أقوامهم، وكانوا قادة لهم، فلما فتح الله عليهم أنوار الإسلام والإيمان، آمنوا بالله الواحد، الفرد الصمد، رب العالمين، مؤمنين بكل ما جاء به النبي الخاتم الأمين سيدنا محمد بن عبد الله رحمة الله تعالى للعالمين، فجمعوا الأمرين، ونالوا الأجرين [1]، ومنهم من عاش مع النبي ﷺ، ونال شرف الصحبة، ومنهم من كان في التابعين .

غير أن أصحاب النزعة العقلية السلبية في تناول السنة الشريفة قد علموا أن مسلمة أهل الكتاب فيهم من روى من أحاديث رسول الله ﷺ، ورويت عنه، فأرادوا النيل منهم، حتى ينصرف الناس عنهم، واعتمدوا في ذلك على أقوال بعض المؤرخين التي لم تنل حجية الصدق، والأخباريين الذين اشتهر كثير منهم بالتساهل في النقل، او الرغبة في إدانة المفكرين من المسلمين، واعتبروا هذه النقولات صحيحة، ومن ثم اعتمدوا عليها، وأغراضهم أوضح من أن تبين عنها عباراتهم[2].

ذكر أحمد أمين: اتصال بعض الصحابة بكل من وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، وقد اتصل التابعون بابن جريج، هؤلاء كانت لهم معلومات يرونها من التوراة والإنجيل، وشروحها وحواشيها، فلم ير المسلمون بأساً من أن يقصوها بجانب آيات القرآن، فكانت منبعاً من منابع التضخم [3]، لكافة الإسرائيليات

(١) الشيخ/ حكمت الله بن حسن بن عطية النبهاني: الدعوة الإسلامية، ص١١٨، مكتبة الميمنية، سنة ١٣٣١ هـ.

(٢) يوجد إصرار قوي أكيد من جانب المستغربين على أن طريق دخول الإسرائيليات إلى التراث الإسلامي كله، التفسير والحديث، وعلوم العقيدة، وغيرها مصدرها مسلمة أهل الكتاب وحدهم.

(٣) الأستاذ/ أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ ٢، ص١٣٩، وراجع لأبي رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١١٩، ١٢٠.

التي أدخلت إلي البيئة الإسلامية، وظهرت في التراث الإسلامي كله على أنها نصوص إسلامية .

ويخص أبو رية من مسلمة أهل الكتاب بالذكر كلا من عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ثم وهب بن منبه، ويذكر أنهم دخلوا الإسلام بعد أن غلبوا على أمرهم، واستعانوا بالمكر، وتوسلوا بالدهاء حتى يصلوا إلى ما يريدون من هدم الإسلام، والقضاء عليه في نفوس المسلمين، وأنهم تظاهروا بالورع الكاذب، والتقوى الباطلة، حتى سكن المسلمون إليهم، واغروا بهم، فقاموا بدس الخرافات، والأساطير، والأوهام إلى أصول دين الإسلام، وأكثروا من ذلك في الحديث [1] .

كما يزعمون أن هؤلاء الأخيار بثوا في الدين الإسلامي كافة المفتريات التي كانت لهم مستغلين عجز الصحابة عن أن يفطنوا، أو يميزوا الصدق من الكذب من أقوالهم، وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التي هي لغة كتبهم، ومن ناحية أخرى أنهم كانوا أقل منهم دهاء، وأضعف مكراً [2] .

لست أشك في أن المصادر التي رجعوا إليها بعد ضمائرهم، وثقافاتهم ما هي إلا من نسج خيال المؤرخين المتروكين، أو انهم وقعوا على روايات تاريخية مهجورة، فتمسكوا بها، واعتبروها صحيحة، ودافعوا عنها، وهو خطأ في المنهج، وكما فعل المستشرقون فعل المستغربون، وإن اختلفت الأسماء من أوربية إلى عربية، ومن مفردات تحمل ذات اللغة إلى أخرى يمكن الوقوف عليها في اللسان غير العربي، لكن الغاية واحدة، والهدف هو ذات الهدف [3] .

(١) راجع لمحمود أبي رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١١٨، ١١٩، الطبعة السادسة، دار المعارف.

(٢) في العبارات طعون على الصحابة الأجلاء بأنهم كانوا اغرارا، لم تنضج عقولهم بعد، وهو اتهام ظالم، وتجريح تنبوا عنه الأذواق الرفيعة السليمة، لأن الله تعالى لا يزكي صحابة رسول الله ﷺ إلا ويمنحهم ما يعينهم على تحصيل تلك التزكية في واقع الحياة، كما أنها تصف الصحابة بالدهاء، والمكر، لكنه أقل مما لدى الآخرين، وذلك مما لا نرضاه على صحابة رسول الله ﷺ.

(٣) راجع للشيخ/ حكمت الله النبهاني: الدعوة الإسلامية، ص١٢٣ ـ ١٢٥.

غيرأن هؤلاء قد فاتهم موقف علماء المسلمين من تراث مسلمة أهل الكتاب، وقد جاء التوجيه به حال حياة الرسول ﷺ، يدل عليه أن أبا هريرة ﷺ قال: (كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرية، يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا، وأنزل اليكم، وإلهنا وإلهكم واحد)، وهو توجيه واضح، محدد في حدود بعناصره الأساسية .

وقد ذهب شيخ الإسلام / ابن تيمية إلى أن كل ما يأتي من مسلمة أهل الكتاب لا يخرج عن أحد أقسام ثلاثة:

الأول: ما علمنا صحته مما بين أيدينا، مما يشهد له بالصدق، فذلك صحيح .

الثاني: ما علمنا كذبه، بما عندنا مما يخالفه .

الثالث: ما هو مسكوت عنه، فلا هو من هذا القبيل فلا نؤمن به، ولا نكذبه، حتى وإن جازت حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني [1] .

لم يكن أصحاب النزعة العقلية السلبية على وعي بتلك القواعد الضابطة، رغم أنها موجودة في المؤلفات الإسلامية، أو أنهم كانوا على معرفة بها، ثم تجاهلوها، وبناء عليه حكوا على كثير من الأحاديث الصحيحة التي لا يتعلق بها الريب أنها إسرائيليات، وخرافات من خرافة أهل الكتاب، ولا دليل معهم، كما لا حجة لديهم، إلا الظن والتخمين [2]، وليس ذلك مما يقول به أهل العلم من الباحثين .

وقد بلغ بأبي رية الشبطط، حتى زيف بعض الروايات التي ترى مصداقها في كتاب الله تعالى، وهو القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من

(١) شيخ الإسلام/ ابن تيمية: مقدمة في التفسير، ص٤٦، المطبعة السلفية.

(٢) الظن والتخمين ليس من المنهج العلمي، كما لا يقوم على أي من منهج بحثي مقبول، ومن ثم كان يجب على أصحاب النزعة العقلية السلبية الرجوع للقواعد المعمول بها في هذا الجانب، حتى لا يقعوا في اتهامات الآخرين وتجريحهم، ظناً منهم أنهم على حق، وما هم إلا في باطل يعملون، وهم بداخله يتخبطون.

خلفه، وحكم ببطلانها، بل وزيف أحاديث ليس في رواتها أحد من مسلمة أهل الكتاب، ولا يحتمل أن تكون قد أخذت عنهم [1]، ومن ثم فأصحاب النزعة العقلية السلبية واقعون في الطعن الذي رموا غيرهم به، وحاولوا النيل منهم عن طريقه .

٤ ـ رأينا في مسلمة أهل الكتاب

من المؤكد أن البحث العلمي يقرر جملة من المبادىء الأساسية، يمكن الوقوف عليها، عند التعامل مع ما نقل عن مسلمة أهل الكتاب، بحيث يدور الأمر على الوجه الصحيح الذي لا يبتغي من ورائه إلا رضوان الله عز وجل، ولا بد من تفصيل القول فيه، وبيانه من خلال ما يلي:

الأمر الأول:

ما كان لهم قبل الإسلام، وتم نقله عنهم، فإن ذلك لايكون حجة عليهم، إذ المعروف أن يتم السكوت عنه مطلقاً، حتى وإن كانوا في الماضي قد قالوه، ونقحوه، وتمسكوا به، لأن ما تم قبل الإسلام معلوم أنه من دياناتهم، وثقافاتهم، وعاداتهم، وطباعهم، فلما دخلوا الإسلام صاروا إلى حال آخر،ولا يمكن أن يذكرهم أحد بسابقه[2]، لأن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة النصوح تستر ما سبق

كيف لا، وكل من دخل الإسلام في بداية الدعوة، كانت لهم ثقافات، وعادات، ومعتقدات، لكنهم جميعاً عندما دخلوا الإسلام أعلنوا التخلي عن كل ما سلف، ومن ثم فلا يعابون بما كان لهم من ماض لا قيمة له، ولا أثر بالنسبة لما جاء بعد، وتطبيقاً لقاعدة أن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة النصوح قاطعة ما سبق من ذنوب .

الأمر الثاني:

ماحكاه هؤلاء عن ثقافتهم السابقة، ولم يتم نسبته إلى الرسول ﷺ لا مرفوعاً، ولا

(١) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص٨٢، ٨٣.

(٢) الشيخ/ فرج بن على الطوانسي: قواعد التعامل مع مسلمة أهل الكتاب، ص٧١، ط. أولى، سنة ١٩١٧م..

مرسلاً، ولاغيره، لأنه لا علاقة له بالإسلام، وإنما هو من حكايات أصحابه [1]، من ذلك ما حكاه وهب بن منبه قال: قرأت في الكتب السابقة:يا ابن آدم جعلت قراراً في بطن أمك، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تنفر، فتنفر من الرحم، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام ، وجعلت لك متكئاً عن يمينك، ومتكئاً عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن شمالك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك، فهل يقدر على ذلك أحد غيري [2]؟

فلما أن تمت مدتك، أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك، فأخرجك على ريشة من جناحه، لا لك سن تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى به، فبعثت لك عرّقين رقيقين في صدر أمك، يجريان لبناً خالصاً، حاراً في الشتاء، وباردًا في الصيف، والقيت محبتك في قلب أبويك، فلا يشبعان حتى تشبع، ولا يرقدان حتى ترقد .

فلما قوي ظهرك، واشتد أزرك، بارزتني بالمعاصي في خلواتك، ولم تستح مني، ومع هذا إن دعوتني أجبتك، وإن سألتي أعطيتك، وإن تبت إليّ قبلتك، وأنا أرأف بعبادي من الوالدة بولدها [3] .

وهذا صريح في أنه من ثقافة الرجل التي أمكنه الوقوف عليها في الكتب السابقة، ونحن إذا وجدنا في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة ما ينطبق عليه أخذنا به، لا لأنه موجود في الكتب السابقة التي لم يحددها وهب بن منبه، وإنما لأنها واردة في كتبنا، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

الأمر الثالث:

ما نقلوه عن رسول الله ﷺ، ونسبوه إليه مرفوعاً، كالحال مع عبد الله بن سلام،

(١) الشيخ/ عبد العظيم صالح أبو شنب: الإسلام دين الخاتم، ص١٩٨٩، ط. دار المينة، سنة ١٣٣٤هـ.
(٢) راجع للشيخ/ سند فوزي عبد العال: مواعظ البرايا، ص٥٧، مكتبة نور، سنة ١٣١٧ هـ.
(٣) الشيخ/ شهاب الدين أحمد الفشني: شرح الفشني على الأربعين النووية، ص٤٠، مطبعة الحلبي، وبهامشه المواعظ السبعينية.

فإنه أسلم بعد أن قدم النبي المدينة، وكان اسمه الحصين، فسماه النبي بعد إسلامه عبد الله، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليه السلام، وهو حليف القواقلة من بني عوف بن الخزرج [1]، وبالتالي فما هو مرفوع إلى رسول الله ﷺ ، ومخرج في الصحاح وجب الأخذ به، لأنه صحابي ، وما ذكره صحيح لنسبه إلى الله تعالى ورسوله .

كيف وابن سلام صحابي جليل، فعن زرارة بن أبي أوفي عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة، تجفل الناس إليه، فكنت فيمن أتى، فلما رأيت وجهه، عرفت أنه غير وجه كذاب، فسمعته يقول: أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام[2].

والحديث مرفوع إلى الرسول ﷺ، فهو قد رأي الرسول ﷺ، وسمعه، ونقل ما سمعه، وهو صحابي جليل، وأنصاري داخل في نطاق مدح الله تعالى للمهاجرين والأنصار على أي نحو كان .

غير أن أصحاب النزعة العقلية السلبية ينكرون كافة الحقائق، بدءاً من التعريف بالرجل، وانتهاء بمروياته، فيذكر أبو رية قائلاً: عبد الله بن سلام هو أبو الحارث الإسرائيلي أسلم، بعد أن قدم النبي المدينة، وهو من أحبار اليهود، حدث عنه أبو هريرة، وأنس بن مالك، وجماعة، وقال فيه وهب بن منبه الإسرائيلي كان أعلم أهل زمانه[3].

فانظر إليه وهو يغمز له بأبي الحارث الإسرائيلي، ثم يلمزه له، بأنه من أحبار اليهود، ولم يقل أنه كان من أحبار اليهود، وإنما أراد أن الوصف القديم مازال قائماً، ثم انظر إليه وهو يقول قال فيه وهب بن منبه الإسرائيلي، بحيث يكون الإسرائيلي

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ١، ص٢٩٩.
(٢) أخرجه الإمام/ الترمذي في صفة القيامة، ٢٤٨٥، وقال حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجة في إقامة الصلاة، ١٣٣٤.
(٣) محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١٢٣، الطبعة السادسة، دار المعارف.

الآخر هو الذي يزكي الإسرائيلي الأول، من باب الشعوبية، بحيث يسقط عن الرجل فضل الصحبة وشرفها .

الأمر الرابع:

ماجاءت له شواهد في النقل المنزل، وهو القرآن الكريم، كالحديث عن صفة النبي في التوراة، وما يتعلق بمولده، ومهجره، فإن الدلائل عليها، والشواهد قائمة لها، من ذلك قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وأخرج البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي، ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ،، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا (٣).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣) جلال الدين السيوطي: الخصائص النبوية الكبرى: المجلد الأول، ص٣٦، تحقيق حمزة النشرتي وآخرين.

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده عبد الله بن سلام أنه لما سمع بمخرج النبي ﷺ بمكة، خرج فلقيه، فقال له النبي ﷺ: أنت ابن سلام عالم أهل يثرب، قال نعم، قال ﷺ ناشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد صفتي في كتاب الله، قال له ابن سلام: أنسب ربك يا محمد، فارتج النبي ﷺ فقال له جبريل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (١) .

فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله، وأن الله مظهرك، ومظهر دينك على الأديان، وأني لأجد صفتك في كتاب الله يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وأذاناً صما، وقلوباً غلفا(٢) .

وبهذا تبين أن ماذكره مسلمة أهل الكتاب في هذا الشأن له شواهد في القرآن الكريم، من ذلك أن القرآن الكريم نعت النبي ﷺ بالر حمة، ولين القلب، وأنه ليس فظاً، ولا غليظاً، فقال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٣) .

بل إن هذا الحديث جاء في أكثر من طريق، أخرج الدرامي في مسنده، وابن عساكر عن كعب قال في السطر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار، لا فظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام، وفي السطر الثاني: محمد رسول الله، أمته

(١) سورة الإخلاص بتمامها

(٢) الأمام/ السيوطي: الخصائص النبوية، المجلد الأول، ص٣٦، ٣٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

الحمادون، يحمدون الله في السراء والضراء، يحمدون الله في كل منزل، ويكبرونه على كل شرف، رعاة الشمس، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها، ولو كانوا على رأس كناسة، ويأتزرون على أوساطهم، ويوضئون أطرافهم، وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل [1] .

من ثم فإن ما تندر به أبو رية، ونسبه إلى ابن سلام يمثل تصرفاً غير علمي ولست أدري كيف سمح لنفسه اتهام الصحابة، وتجريح رواة السنة الشريفة، كما يتناول التابعين بما لا يليق، وكأنه في حرب معهم، والمؤسف له أنه الذي أعلن الحرب عليهم، وهو في دار الدنيا، بينما هم في ذمة الله بالدار الأخرى .

ورغم أنه وجد الرواية قائمة، ومجمع عليها، ولها شواهد من القرآن الكريم، إلا أن ذلك كله لم يشفع له، حتى يعود للحق، ويدفع عن نفسه عبء الإساءة للسنة في متنها وسندها [2]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الغرابة بمكان أن يقتحم ميداناً ليس مؤهلاً للتعرف عليه، وأن ينزل بحراً لا يمكنه السباحة فيه، كل ما يملكه هو الجرأة في غير موضع، والرغبة الجامحة في الإساءة للآخرين، ولطالما قال في كعب ووهب، وتميم، ولم يرده عن هذا النهم في الاتهام راد، وكأنه ما خرج للدنيا إلا للنيل من السنة ورواتها ، ومنهم:

ـ كعب الأحبار أحد مسلمة أهل الكتاب، من التابعي، وعلماء الجرح والتعديل، وهم الذين لاتخفى عليهم حقيقة أي راو، مهما تستر، لم يتهموه بالوضع، والاختلاف، بل الجمهور على توثيقه، بدليل أنه لايوجد له ذكر في كتب الضعفاء، والمتروكين، بل وأتفقت كلمة النقاد على توثيقه [3].

(١) الأمام/ السيوطي: الخصائص النبوية الكبرى، ص٣٦ ، ٣٧.

(٢) أبو رية لم يعجبه الإمام/ البخاري، ولا مسلمة أهل الكتاب، ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن سلام، مما أظن ذلك من الجهل العلمي، ولا هو مما ينسب إلى العلماء.

(٣) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص٧٨، ٧٩، حيث ذكر أنه ترجم له في تذكرة الحفاظ، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وأبن حجر في الأصابة، وتهذيب التهذيب، وأبو نعيم في الحلية.

إلا أن أبا رية يصفه بأنه الصهيوني الأكبر، ويقول: استطاع هذا اليهودي كعب الأحبار بوسائله الشيطانية، أن يدس الخرافات، والأوهام، والأكاذيب في الدين بما امتلأت به كتب التفسير والحديث، فشوهتها، وأدخلت الشك إليها، وما زالت تمدها بأضرارها إلى ما شاء الله [1]، وهو لا يفتر ينقل عن كعب كل ما ذكره خصومه، وما تناقله بعض المؤرخين المجهولين عنه، كما ينسب كل قول يلاقيه إلى كعب الأحبار من غير توثيق، أو رجوع إلى مصدر سوى بعض الكتابات الأدبية التي لا علاقة لها بهذا الجانب من الناحية التوظيفية [2] .

وقد أكد أبو شهبة أن كعب الأحبار لم يكن وضاعاً، ولا متعمدا لكذب، وإن كان قد وقع في بعض مروياته شيء من الإسرائيليات فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدلوا، وحرفوا، وبعض الكتب القديمة التي امتلأت بالخرافات والإسرائيليات [3] .

أجل إن ما قام به أصحاب النزعة العقلية السلبية للسنة الشريفة لهو من الغريب على كل مسلم ملتزم، بل هو صادم له، نظراً لخروجه على أبجديات البحث العلمي الموضوعي وأدبياته، ومن ثم فإنهم قد سحبوا كل أرصدتهم المعرفية، وعرضوها للحكم عليها بأنها عبثية، ولا تستحق الاهتمام بها، أو التركيز عليها ، أما لماذا ؟

فلأن أصحابها عجزوا عن إدراك ما يجب فعله، وما يجب تركه، كما أن كافة المظاهر دالة على أنهم خلعوا عن أنفسهم عملية احترام الرأي المخالف، وتعصبوا لكل ما من شأنه إلحاق الضرر بالدين الإسلامي ومصادره الأصلية وأنهم أخذوا

(١) محمد أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١٣٧، ط. السادسة.

(٢) لم يقف أبو رية على أحد مصادر الدراسات الحديثية، أو كتب الرجال، والتراجم، وإنما أخذ عن نهاية الأرب للنويري، وهو إفلاس من أبي رية.

(٣) الدكتور/ محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص٨١ ـ ٨٣.

الطعن على السنة الشريفة متناً وسنداً، لتحقيق تلك الغاية، ولن يصلوا إلى القضاء على الإسلام أبدا، كما لن يتمكنوا من إطفاء نور الله جل علاه.

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخاتمة

تجيء الأبحاث العلمية في مبادئها المقدمات، التي تعرف بالمصطلحات، وتمهد لما يأتي بعدها، ثم أواسط تتمثل فيها الموضوعات المطروحة للدراسة على ناحية من النواحي، نظراً لطبيعة كل موضوع، أو كل جزئية من جزئيات الموضوع ذاته، ثم تجيء في النهاية الخاتمة، لتكون بمثابة التلخيص الدقيق للنتائج التي أمكن الوصول إليها من كل جزئية سبق تناولها، ومن ثم استقر في الأبحاث العلمية أن الخاتمة تلخيص دقيق لما جرى في الموضوع، وبناء عليه فإني أتناول ما يلي:

أولاً: أهم النتائج

١ ــ أن الفكر عمل عقلي، يتم من خلاله التعرف على ما يجب أن يعلم، حتى يقوم به الفرد الواعي طبقاً لما فيه المصالح المشروعة، أو يمتنع عنه تطبيقاً لذات القاعدة، ويترتب عليه أن تكون كل فكرة، إما دالة على الخيرات، فتكون حسنة، أو آخذة صاحبها إلى الشرور فتكون قبيحة، والفرد العاقل الواعي يكون مهيئاً لكل الأمرين ويمكن أن يجري عليه كل من الثواب أو العقاب، المدح أو القدح .

٢ ــ أن العقل الإنساني نعمة إلهية، لا يدرك قيمته إلا من عاش مع فاقدي العقل والأهلية، حيث يعانون مما يقوم به هؤلاء المرضى، وأهل العلم يقولون لا يعرف قيمة الصحة إلا من ذاق المرض، ولا يعرف قيمة المال إلا من عضه بأنيابه الفقر، ولا يعرف قيمة الالتزام إلا من عانى من الانفلات، وانعدام الاحترام .

٣ ــ أن النزعة العقلية قد تكون إيجابية نظراً لما يتعلق بها من القيام بالواجبات الشرعية في الاستدلال على وجود رب البرية، وإثبات الكمالات التي لا تتناهى له جل علاه، وإقامة الأدلة على أن القرآن والسنة وحي من الله تعالى، وأن من التزمهما، وتمسك بهما هو الذي تقع له السعادة في الدنيا، والنجاة يوم لقاء الله تعالى في الدار الآخرة .

٤ ــ أن النزعة السلبية عمل غير صالح، يتبنى القيام به من فقد القدرة على طلب

النجاة، ومن لا يملك نفسه، بحيث يستنقذها من نزغه الشيطان، لأن من وقع في حبائله، أو أصطادته شباكه وقع في الهلاك، وحقت عليه اللعنات، وهذا مما يجب أن ينأى عنه الفرد المسلم الواعي، لأن سلوك طريق الخير هو أقوم سبيلا .

٥ ــ أن النزعة العقلية السلبية عندما استولت على أصحابها، تحولت بهم من أناس منكرين، إلى آخرين مفكرين، يرددون ما لا علم لهم به، ويتحملون وزر ما لم يفعلوا، وقد حولت هؤلاء الأفراد إلى أعداء للسنة، متنازعين، وعلى رواتها متطعين، وفي ذات الوقت يتلقون الضربات المتوالية، نظراً لكونهم فقدوا الوصول إلى صراط الله المستقيم، وهذا من أسوأ العواقب، وأصعب المراحل، وأخطر الانفلاتات .

٦ ــ أن ذوي الاختصاص قد بذلوا جهوداً مضنية، بل جبارة، في تقديم تعريفات محددة للنزعة العقلية السلبية، بحيث يتم التعامل مع الناتج عنها من حيث إن دور المسلم هو التمسك بالكتاب والسنة، ومن طبيعة ذات التمسك الدفاع عن كل منهما بالطرائق التي تناسب كل طرف، واللغة التي يستعملها أفراد كل جيل، والحيل التي يقدمها أعداء الإسلام على اختلاف توجهاتهم .

٧ ــ ثبت بالبحث العلمي أن أصحاب النزعة العقلية السلبية من غير المسلمين، عندما يتوجهون للسنة الشريفة ــ سنداً ومتناً ــ يكونون معبئين بالعداوة عليها، ويريدون النيل منها، ومن ثم فهم يعملون على إنكار الحقائق الأساسية، بل الثابتة، ويتجاوزون الحقيقة، والموضوعية، وهم في كل أحوالهم يبتغون هدمها، فإذا لم يجدوا ما يوصلهم إلى تلك الغاية اخترعوه، ولفقوه، تطبيقاً لمبدأ أن الغاية تبرر الوسيلة، ومثلهم لا وزن لهم، ولا قيمة لما يقومون به .

٨ ــ ثبت بالتجربة أن اصحاب النزعة العقلية السلبية ممن يحملون أسماء إسلامية قد وقعوا في تقديس أفكار الآخرين، وبالتالي لا ينتقدونها، ولا يفحصون فيها، من باب أنهم أصحاب علم ومعرفة، ثم يأخذون من أقوالهم الغير صحيحة، بل الملفقة حول السنة الشريفة، ويضيفون إليها، إعتقاداً منهم أن العمل العلمي فوق القداسة، ولا

قيمة لما يقومون به في الحقيقة، ولكن الخطر عندما يظن الأغرار أنهم من العلماء .

٩ ــ أن ما قام به أصحاب النزعة العقلية السلبية من جرأة على السنة الشريفة ــ رواية ورواة ــ قد سبقهم إليهم سابقوهم، بدليل أن الشبه بينهم متبادلة، ومتداولة، وكل ما في الأمر إعادة الصياغة، أو إدخال بعض الإضافات، وهي في جميع الحالات لا تصمد أمام النقد العلمي، كما لا تنال من الناس العقلاء أي نوع من القبول، ولكن الخطر من بقائها في المؤلفات التي يضعونها حين تقع في أيدي من ليس لهم القدر العلمي، فربما ظنوها مقبولة، وأخذوا بها، ثم جادلوا فيها .

١٠ ــ أن الأخطار الواردة عن أصحاب الاتجاه العقلي السلبي مصدرها الأكثر إنتشاراً، أو ذيوعاً هو كتب المؤرخين والجامعيين والوراقين، ومن على شاكلتهم ممن يجمعون الغث مع السمين، وينقلون الرأي وضده، ولا بد من إعادة النظر في ذات المؤلفات، حتى تنقى مما هي فيه، لأن عملها الثقافي في العالم الأعم له آثار سلبية على الديانة الإسلامية من كافة النواحي، بجانب أنها تحمل أسماء إسلامية لها في نفوس الكثيرين القدر العالي من التقدير والاحترام .

١١ ــ أن أصحاب النزعة العقلية السلبية يدخلون في عداد المرضى من النواحي النفسية، والقلبية، غير العضوية، والأخلاقية، بل ويحتفون بالقدر الكبير من نقص العلم والمعارف، ومع هذا فهم يدعون العلم والمعرفة، ويقولون على الله وكتابه، وسنة رسوله الكذب، وهم يعلمون .

ثانياً: أهم التوصيات

١ ــ ضرورة إدخال تشريعات تتضمن عقوبات ضد كل من يسعى للنيل من الأصول الإسلامية ــ القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة ــ ونصوص الشريعة تتسع لمثل تلك العقوبات، بحيث لا يعمل بالسنة الشريفة، ولا يكتب فيها إلا المتخصص بها الذي تم تقييمه أمام لجان علمية، واجتاز، وهو ما يعرف بالأجازة .

٢ ــ فرض رقابة على المطابع، ووسائل نقل المعلومات، بحيث لا يسمح بتداول

الكتابات حول السنة الشريفة إلا بعد المراجعة الدقيقة من ذوي الاختصاص، ومن يخالف تتم معاقبته بما يستحق، حفاظاً على المصادر الإسلامية .

٣ ــ توجيه الإعلام بأنواعه المختلفة بعدم استضافة من يتحدثون عن السنة الشريفة إلا إذا كانوا من ذوي الاختصاص الإجازي، فليس من المعقول أن يتحدث في الطب من ليس بطبيب، ولا الفلك من ليس فلكياً، ومن ثم فليس من المعقول أن يتحدث عن السنة الشريفة من ليس متخصصاً فيها، ماهراً بها .

٤ ــ التوسع في المناهج التعليمية، ووضع مادة شبهات حول السنة، ضمن تلك المناهج، على أن تتضمن نبذة ولو مختصرة تعرف بأصحاب السنة، وظروف نشأتهم، والأسباب التي أدت بهم إلى ذلك المسلك، ثم بيان حال المهاجمين للسنة، حتى يحذر الناس أمرهم، ويتفادى الجميع أخطارهم، فذلك مما يدخل في نطاق الحرص المشروع [1] .

٥ ــ إصدار قوائم تحمل أسماء الشبه، وتضع أمام كل واحد منهم رؤوس الشبهة التي قام بها، بحيث يعرف الناس من هؤلاء، وكيف سمحوا لأنفسهم الخوض في السنة الشريفة، والقول بما لا علم لهم به، حينئذ تسقط عملية احترامهم بين الناس، بما يدفع إلى عدم الأخذ عنهم، أو الإلتفات إليهم .

٦ ــ التوسع العلمي، والتصنيف الفهرسي لكل المستجدات التي سعى القائمون عليها بالنيل من السنة الشريفة، بحيث يتم الاقتران بين المقدمات والنتائج، حتى لا يأتي يوم يجد المسلم نفسه واقعاً بين كم من المستحدثات البدعية تعوقه عن الوصول إلى أصول السنة الشريفة التي تمثل المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية.

وعلى الله قصد السبيل

---

(١) وقديماً قالوا

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

أهم المصادر والمراجع

حسب ورودها في هوامش الصفحات

١ - القرآن الكريم

٢ - الأربعين النووية ... الإمام / النووي .

٣- أثر الإيمان في حياة الإنسان ... الدكتور / محمد حسيني موسى الغزالي .

٤ - أحكام الجان ... الشيخ / عبد البديع حسن صابر .

٥ - الإستشرق والخلفية العدوانية ... الدكتور / محمد بهاء الدين .

٦ - أيام العرب ... الأستاذ / حسن فخري صابر

٧ - أيام العرب في الجاهلية والإسلام ... الشيخ / عبد العظيم حسن سلطان

٨ - الإنسان والعقيدة ... الدكتور / إبراهيم محمد راشد .

٩- الاضطرابات السلوكية وأثرها على الحياة المجتمعية ... الدكتور / على عبد الرحمن الصعيدي

١٠- الاضطرابات السلوكية والعقدة النفسية ... الدكتور / جورج هيرمان .

١١- أضواء على السنة المحمدية ... محمود أبو رية .

١٢- الأصابة ... الحافظ ابن حجر .

١٣- إتحاف السادة المتقين ... العلامة / الزبيدي .

١٤ - الإسلام عقيدة وشريعة ... الشيخ / محمود شلتوت .

١٥ - الاستعمار الثقافي للأمة الإسلامية ... الأستاذ / مصطفى محمد مصطفى .

١٦ - الإعتصام ... الشيخ / إبراهيم الشاطبي .

١٧ - أصول الدين ... الشيخ / عبد القاهر البغدادي .

١٨ - إرشاد الفحول ... العلامة / الشوكاني .

١٩ - أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ... الدكتور / محمد حسيني موسى الغزالي .

٢٠ - البداية والنهاية ... الحافظ ابن كثير .

٢١ - بعض الشبه الواردة على السنة	الدكتور / محمد أبو شهبة
٢٢ - تأويل مختلف الحديث	العلامة / ابن قتيبة الدينوري ٠
٢٣ - التيارات الفكرية المعاصرة دراسة تحليلية	الأستاذ / شلبي السيد شلبي ٠
٢٤ - تاريخ ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون ٠
٢٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٠
٢٦ - تأملات غزالية في النحل الشيطانية	الدكتور / محمد حسيني موسى الغزالي ٠
٢٧ - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان	الشيخ / إسماعيل حقي البروسوي ٠
٢٨ - تفسير سورة الكهف	الشيخ / محمد عبد العظيم البنهاوي ٠
٢٩ - التدخل الثقافي في زمن العولمة	الأستاذ / حسن محمد المعلاوي ٠
٣٠ - تذكرة الحفاظ	العلامة / الذهبي
٣١ - التيارات الفكرية المعاصرة	الأستاذ / حسن صالح شلبي ٠
٣٢ - الثورة الثقافية	محمود محمد طه ٠
٣٣ - الحركات الهدامة في الوطن العربي	الأستاذ / على السيد صالح العشري ٠
٣٤ - الحركات الهدامة في الأمة الإسلامية	الشيخ / محمد السيد خاطر
٣٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم ٠
٣٦ - الحركات الباطنية وموقف الإسلام منها	الدكتور / السيد حسن طه ٠
٣٧ - حياة محمد	دير منجم ٠
٣٨ - خمسون سنة في المصحة النفسية	الدكتور / جورج دوهان ٠
٣٩ - الخصائص النبوية الكبرى	الإمام / جلال الدين السيوطي ٠
٤٠ - الدافعية والإنفعالية	الدكتور / جورج إدوارد ٠
٤١ - دفاع عن السنة	الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة ٠
٤٢ - الزواج في الإسلام	الدكتور / عبد الله صالح طلبة ٠
٤٣ - شبهات القرآنيين حول السنة النبوية	الدكتور / محمود محمد مزروعة ٠

٤٤ - شبهات حول السنة	الشيخ / عبد الرزاق عفيفي ٠
٤٥ - شبهات في طريق السنة ــ عرض ونقد	الأستاذ / عبد اللطيف السيد حسن ٠
٤٦ - شرح الفشني على الأربعين النووية	الشيخ / الفشني ٠
٤٧ - صحيح البخاري	الإمام / البخاري ٠
٤٨ - صفة الصفوة	العلامة / ابن الجوزي ٠
٤٩ - صحيح مسلم	الأمام / مسلم ٠
٥٠ - ضلالات منكري السنة	الدكتور / طه الدسوقي حبيشي ٠
٥١ - ضحى الإسلام	الأستاذ / أحمد أمين ٠
٥٢ - الطب النفسي ومدارسه	الدكتور / أحمد على أبو العلا ٠
٥٣ - الطب النفسي ومشكلاته	الدكتور / رمزي حسن سالم ٠
٥٤ - الطب النفسي والأخصائي الإجتماعي	الدكتور / رامز فائق ٠
٥٥ - الطب النفسي الحديث	الدكتور / جيمس لوكان ٠
٥٦ - الطب النفسي المعاصر	الدكتور / جورج بهمان ٠
٥٧ - العقيدة الإسلامية	الشيخ / عبد العيم القرشي ٠
٥٨ - عوامل تدوين السنة	الأستاذ / شوقي محمد خالد ٠
٥٩ - العقيدة الإسلامية	الشيخ / محسن بن على الورداني ٠
٦٠ - العرب وظهور الإسلام	الدكتور / محمود محمد زيادة
٦١ - فتح الباري	الحافظ ابن حجر العسقلاني ٠
٦٢ - لسان الميزان	الحافظ ابن حجر ٠
٦٣ - موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية	الدكتور / محمد الأمين ٠
٦٤ - من وحي البيان في جماعة الشيطان	الدكتور / محمد حسيني موسى الغزالي ٠
٦٥ - المريض النفسي وأخطاره	الدكتور / جورج هورمان ٠
٦٦ - المستشرقون والمستغربون وشبهاتهم في الإسلام	الأستاذ / حسن السيد نصار ٠

٦٧ -	المستغربون والسنة الشريفة	الأستاذ / حسن السيد صابر ٠
٦٨ -	مستقبل الثقافة في مصر	الدكتور / طه حسين ٠
٦٩ -	المستشرقون والسنة	الدكتور / السيد على النمر ٠
٧٠ -	معالم الحضارة الإسلامية	الدكتور / على السيد زكريا ٠
٧١ -	مقدمة التفسير	شيخ الإسلام / ابن تيمية
٧٢ -	الموافقات في أصول الشريعة	الشيخ / إبراهيم الشاطبي ٠
٧٣ -	النرجسية والمشكلات النفسية	الدكتور / على صابر ٠
٧٤ -	نور اليقين في سيرة سيد المرسلين	الشيخ / محمد الخضري ٠
٧٥ -	النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية	الشيخ / محمد منير الدمشقي ٠
٧٦ -	وثائق تاريخية	أ. هـ. جيمس هيتر ٠

إلى غير ذلك من المصادر والمراجع التي لم أذكرها من باب التخفيف عن صفحة المصادر، وسوف يراها القارئ الكريم في هوامش الصفحات ٠

فهرس البحث

مقدمة ٨٤٥

الفصل الأول: التعريف بالنزعة العقلية السلبية ٨٤٨

الفصل الثاني: سمات النزعة العقلية السليمة ٨٥٧

الفصل الثالث: المنهج والمظاهر ٨٨٣

الخاتمة ٩١٥

أهم المصادر والمراجع ٩١٩

فهرس الموضوعات ٩٢٤

* * *